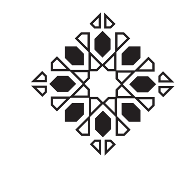


الجن.. في القرآن الكريم

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



إنه من المنطقي لتتبُّعِ موضوع (الجن) في القرآن الكريم أن نفتحَ المصحف الشريف، ونبدأ القراءة من بدايته.. ونتأمل كيف يتناولُ المسألتين: عبادةَ الله تعالى، وذِكرَ الجن والإنس. ومن المناسب هنا التأكيد على حقيقة جديرة بكل اهتمام.. تلك هي أن القرآن المجيد تنزيلٌ من الحكيم العليم.. فهو ليس نتفاً من الآيات من هنا وهناك، لا يربطها رباط، ولا يضمها نسيج متين.. مثل خواطر بعض البشر التي تقفز في عقولهم بلا ترتيب أو تبويب. حاشا لله! إنه كتاب محكم، ذو عناصر مترابطة مرتبة، فما جاء منها أوّلاً فلحكمة جاء أولاً.. وما جاء متأخرًا فلحِكمةٍ وردَ هكذا.

تأتي في مقدمة القرآن سورة (الفاتحة).. التي تفتح باب الكتاب الرباني.. باسم الله الرحمن، وتكشف لنا عن الغرض من تنزيله على بني البشر.. وتعلن عن مصدره الإلهي، وإطاره القائم على كمالِ الرحمةِ الربانية.. ثم تهتف: "الحمد لله رب العالمين".

والحمدُ لفظ عربي قليلُ الأحرف إلا أنه يجمع كل معاني الكمال والجلال! فكل ما يستوجب المحبة والإعجاب.. والتوقير والتعظيم.. والشكر والثناء.. بأكمل صورة وأصدق معنى.. هو لله تعالى. هذه هي المقدمة التي تَوَلّى الكتاب توضيحَها والتدليل عليها، ورسَم المنهج السليم لتحققها من خلال سوره وآياته. إنها الغرض الوحيد الذي من أجله خُلق البشر. وما تنزَّل وحيُ السماء.. وما يتنزل .. إلا لتحقيق هذا الهدف الأسمى.

ثم تعلن الآية الكريمة أن الوجودَ المستحق للحمد كلِّه هو الله رب العالمين.. كل العالمين، لا لصنف دون صنف. إن ربوبيته رعايةٌ وعناية، هيمنة وقوامة، رزق وتنشئة وحفاظة.. تظلل العوالم كلَّها: عالم الشاهد وعالم الغائب، عالم النبات وعالم الجماد، عالم الطير وعالم الدواب، عالم الرجال و عالم النساء، عالم الروح وعالم المادة، عالم

* رئيس تحرير «التقوى» السابق



الإنس وعالم الجن. كل ما في الكون من عوالم.. نعرف عنها شيئا أو نجهلها بالمرة.. تدخل جميعُها تحت مظلة ربوبية الله تعالى. وتمضي آيات القرآن. وفي السورة التالية – سورة (البقرة) نسمع أولَّ نداء قرآني.. موجه إلى من يخاطبهم القرآن.. إلى من نزل لأجلهم.. إلى من خُلقوا لعبادة الله.. يقول النداء:

﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾ (البقرة:٢٢)

النداءُ للناس. والنداءُ توجيهٌ إلى عبادة الرب الخالق الذي خلق الناس لهذه العبادة. ولو كان القرآن يخاطب خَلقاً غير الناس لكان من المناسب أن يوجِّه إليهم الخطاب ها هنا.. لأنه أول أمر عامٍّ بالعبادة. يترتب على ذلك أن المنادَى في هذه الآية –وهُمُ الناس– يشمل كل مكلف بعبادة الله عن طريق هذا القرآن. وعلى لسان نبي الإسلام ﷺ.

ثم تمضي سورة (البقرة)، أطولُ سور القرآن، حافلةً بآيات الله الدالة على ربوبيته وألوهيته الحقة، وتضعُ التشريعات المنظمة لحياة من يناديهم القرآن، وترسمُ الآداب الطاهرة التي تزكى العباد، وتبين الحكمة الإلهية السامية وراء تلك التوجيهات الربانية.

وتأتي من بعد سورة (البقرة) سور طوال: آل عمران، والمائدة، والنساء، إلى أن نصل إلى سورة الأنعام.. ونكون بذلك قد قرأنا ما يقرب من ربع المصحف الشريف.. فلا نجده يخاطب أحداً من المكلَّفين بالعبادة واتباع المنهج القرآني أو يشير إليهم إلا بمثل قوله تعالى:

﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ..﴾ (البقرة:١٨٤)

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا..﴾ (البقرة:١٥٢)

﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا﴾ (البقرة:١٦٩)

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (البقرة:٢١٤)

﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ..﴾ (النساء:٢)

﴿.. مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ... فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا..﴾ (المائدة:٣٣)

ويتحدث القرآن الكريم في سورة (آل عمران) عن صنفين من عباد الله: هما الذكر والأنثى، وكلاهما من البشر.. فيقول:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ (آل عمران:١٩٦)

وبذلك يقرر أن الفروق العضوية أو الاجتماعية بين الصنفين لا تفرِّقُ بينهما في العبادة وتكاليفها وثمراتها من ثواب و عقاب.. فكلٌّ منهما على قدر مسئوليته وبقدر جهده واجتهاده ينالُ نصيبه. وينتفي بعدَ قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ الزعمُ أو الظنُ بأن الرجال قد فازوا بالنصيب الأوفى من التكاليف والجزاء، أو أن النساء حُرمن إلا من القليل. لا، إن السورة تقرر أنهم جميعا في هذا الأمر سواء. الجميعُ مسئولون عن الارتقاء والتقدم إلى الله عز وجل، ومدعوون للتخلق بأخلاقه والاتصاف بصفاته. والجميع محققون الهدفَ من خلقهم بقدر عملهم وتضحياتهم وثباتهم.

سورة الأنعام

في سورة (الأنعام)، بعد ربع القرآن، وبعد مئات من الآيات التشريعية والتعليمية والتربوية.. تأتي الإشارة في القرآن إلى نوع من المعبودات التي يؤلهها المشركون وينسبونها إلى الله ظلما وجهلا فيقول:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنعام:١٠١)

والشرك بالله تعالى جريمة نكراء، وسقطة شنعاء، يرتكبُها ويقع فيها الجاهلون بحق الله تبارك وتعالى، إذ يتخذون لأنفسهم أربابا يحمدونهم من دون الله، ويصفونهم بأوصاف الله.. وينسبون إليهم ما يُنسب إلى العلي القدير، ويعاملونهم بما هو حق له وحده.. فيخصونهم بالطاعة والخضوع المطلق.

ولقد تناولت الآيات السابقة على هذه الآية بيانَ بعض نعم الله على الناس من أرض وسماء؛ ونَعَتْ على الظالمين منهم أنهم ينسبون لله شريكا يزعمون أنه ابن له!! والإشراك بالله تعالى ظلم عظيم لا يغفره الله الغفور الرحيم لمن أصر عليه وهلك دون توبة عنه. ذلك لأنها سفاهة تامة.. يُبطلُ بها المشركُ عقله.. والعقلُ أجلُّ النعم التي وهبها الله الخالق الوهاب للإنسان، ليكون الأداة الفعالة لقيادة الإنسان إلى تحقيق الهدف من خلقه. فإذا هو حَرَم نفسه منها وعطلها.. لزِم أن



ينال العقاب التربوي المناسب حتى يسترد هذا العقل.. ويعرفَ لربه حقَّه.. ويدرك جماله وجلاله، ويعلم يقينا أنه:

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ، لآ إِلَهَ إلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ. وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام:١٠٢-١٠٣)

وإذن فالشريك المزعوم، والولد المدّعَى.. ليس إلا وهماً باطلا، لا وجود لـه إلا في خيال هؤلاء المشركين. وما هو إلا خيال كاذب من قُبيل تلك الأشباح التي توهمها البدائيون في عصور الجاهلية، وزعموا أنها تسكن الجبال والقفار. والواقع أن أحدا منهم لم يرها إلا بخياله المرعوب وبعينه الكليلة المذعورة. ولذلك أطلق القرآن الحكيم وصف (الجن) على تلكم الآلهة المتوهمة.. لأن لفظ (الجن) يعبر أدق تعبير عن حقيقة وماهية تلك الآلهة. فكما أطلق البدائيون على الكائنات الخيالية التي لا حقيقة لها اسم (الجن)، وخافوها وزعموا أن لها من القدرات والسلطان ما تستحق به الطاعة.. كذلك سمّى القرآن باسم الجن هذا الابن المزعوم-أيا كان- الذي خلعوا عليه صفات وقدرات لا تنبغي إلا لله تعالى، ولا وجود له إلا في عقيدة هؤلاء الضالين.

إن مادة (ج ن ن) في اللغة العربية تتضمن معنى الستر والاستتار. تقول المعاجم اللغوية:

جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنّاً: ستره، وكل شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك.

جَنَّ الليلُ: أظلم فستر المرئيات.

جَنَّه الليلُ جَنًّا وجنونا.

وجَنَّ عليه يَجُن وأجَنَّه: ستره.

جَنَّ الجنينُ في الرحم، استتر.

جِنُّ الليلِ وجُنونه وجنانه: شدة ظلمته، وقيل اختلاط ظلامه لأن كل ذلك ساتر.

والجَنَن: القبر والكفن لأنه يستر جثة الميت.

والجَنان: القلب لاستتاره في الصدر، أو الروح لأنها مستورة في الجسم.

والمجن: الترس والوشاح والحياء.. لأنها تستر من يستخدمها.

والجُنَّة: ما واراك من السلاح؛ السترة والوقاية.

وجِنُّ الناس: معظمهم.. لأن الداخل فيهم يستتر بهم.

وجَنان الناس جماعتهم وسوادهم، وقيل دهماؤهم.

وقيل-الجِن: ولد الجان.. وهم الجنة.

والجن خلاف الإنس.

والجِنَّة الجنون، وطائف الجن.

والجِنَّة: طائفة من الجن.

والجَان هو الجن أو أبو الجن، اسم جمع.

والجن هم الملائكة.. قال الأعشى يذكر سليمان عليه السلام :

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الملائكَة تسْعَةً
قِيامًا لَديْه يَعْمَلُونَ بلا أَجْرَ

وقوله جن الملائكة أي الملائكة الجن يعني المستترة.

فكل ما استَتَر أو خَفِي أو نـأى فهو جنّ.. وأيضا كـل مـا أَخْفَى أو سَتَرَ أو غَطَّى أو غَلَبَ على غيره فهو جن. فمثلا:

جِنُّ الشباب أوَّله، وجدّته ونشاطه.. لأنها الصفات الغالبة عليه. وجِنُّ كل شيء أول شداته. وجِنُّ المرح كذلك. يقال: خذ الأمر بجِنِّه أي حدثانه.

وجِنُّ النبت: زهره ونوْره.. لأنه يجذب الأنظار إليه فيكون المظهر الغالب على النبات، فكأنه يستره. وجُنَّ النبتُ جنونا غَلُظ واكتهل. وجُنَّت الأرض جاءت بشيء معجب، وإذا أعتم نبتها. وجُنَّ الذباب: كثر صوته وترنمه.

وجنون النبت طوله والتفافه، وجنون السنام تموكه وطوله. والجَنَّة الحديقة ذات الشجر والبستان.. لأن أشجارها تستر الأرض.

والجان الحية.. لسرعة اختفائها أو لاستتارها عادة.

فالتميز والشدة والعنفوان جنون.

ولقد أطلق الناس في زمن الجهالة الأولى اسم (الجن) على كائنات وهمية زعموا أنها موجودةٌ في الأماكن النائية عن العمران، وحسبوا أن ما تحدثه الرياحُ من زمجرة وعويل هو من أصواتها، وتوهموا أن ما يتراءى لعيونهم المجهدة الخائفة هو من أشباحها. ولقد علمنا أن اللغة العربية تستخدم مادة (ج ن ن) للتعبير عن كل ما من شأنه أن يستُر أو يستتر أو يجذب الأنظار (أو بلغة السينما: يسرق الكاميرا). وهكذا حُق للقرآن أن يطلق وصف الجن على تلكم الآلهة: لأنها وهم خيالي خفي عن عيون المشركين بل وعن الوجود كلية، ذلك دلالة على مدى ما في الإشراك بالله من زيغ وضلال وبطلان. لقد أطلق البدائيون اسم



الجن على خيالات زعموا وجودها بغير علم ولا سلطان ولا تحقق، وهكذا فعل الجاهليون إذ زعموا أن في السماء أو في الأرض أبناء وبنات نسبوها إلى الخالق عز وجل.. نسبوها إليه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير!! فهي كائنات جديرة بوصف (الجن) حقا وصدقا. إن الآية القرآنية تعني بقول ﴿شُرَكَآءَ الجِنَّ﴾.. أنهم شركاءٌ من صنع الجهل ونسج الخيال وتجسيد الأوهام.

وتعالى الله أن يكونَ له من تلك الأباطيل المنتحلة شريك، فإن مظاهر قدرته وعظمته، ودلائل جلاله وكماله تملأ الكون كله. تعلن أنه السبوحُ القدوس.. المنزهُ عن أي نقص. المتصفُ بكل حسن. إنه تبارك وتعالى غيبٌ لا تدركه الأبصار، ولكنه مشهودٌ للعقل.. منظورٌ بالبصيرة.. يُرى في آياته، ويُسمع في مخلوقاته. أما تلك الشركاءُ المزعومة فما أعجزها وما أقبحها!! أُلوهيتها لا يقبلها عقل سليم، ولا يشهد لها واقع. إن الله هو الإله الحق.. ومع أنه حقا كما قال:

﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام:١٠٤)

فقد تحدث إلى خلقه، وبيَّن لهم طريقَ الهداية والرقي، بما يشهد له أنه: الحيُ القيوم.. الخالق القدير.. اللطيف الخبير. وشتان ما بين الغيب والوهم. فالغيب موجود فعلا وإن خفي عن الحواس الجسدية، لأنه إنما يدرك بالملكات المناسبة المؤهلة لإدراكه.. الملكات الروحية من فكر وقلب. أما الوهم فهو عدم.. يخترعه الخيال السقيم.. في غيبة العقل السليم.

وتمضي آيات سورة (الأنعام) تلومُ أولئك الذين ينصرفون عن آيات الله، وينساقون إلى الشرك.. فيعبدون آلهةً ليس لها حضورٌ في عالم الواقع، وما هي إلا خيالات في أذهانهم المشوَّشة، يصرون عليها ويضللُ بعضهم بعضا بقول مُزخرف ولكنه زورٌ وباطل، يقاومون به دعواتِ الإصلاح والهداية التي يأتي بها أنبياء الرحمن. تقول الآية:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا. وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ. فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام:١١٣)

وكلمةُ (شياطين) جمعُ شيطان من مادة (ش ط ن)، وتعني البُعد، يقال شطنت الدار: بعدت، وشطن عنه: خالفه عن قصده ووجهته. فالمؤثِّر الذي يُبعد الإنسان عن الحق والخير، وينأى به عن الهدى والصواب يُسمّى شيطانا. والذي يسعى ليغُيِّر وجهة المرء من طريق صالحٍ إلى طريق فاسد أو أقلِّ صلاحا هو شيطان. ومثلُ هذا المؤثر المضلل قد يأتي الإنسان من الخارج أو ينبعُ من داخله. فشيطان الخارج قد يتمثل في دعوة من شخص فاسد، أو إغواء من فاسق، أو تزيين من ماكر. وقد يكون شيطانُ الباطن كامنا في شهوة أو عاطفة أو غريزة أو رغبة أو عقيدة أو ظنٍّ أو حاسةً أو فكرة أو خاطر أو نحو ذلك.

وإذا كان المؤثر المحرِّضُ بشراً سُمي

”فالغيب موجود فعلا وإن خفي عن الحواس الجسدية، لأنه إنما يدرك بالملكات المناسبة المؤهلة لإدراكه.. الملكات الروحية من فكر وقلب. أما الوهم فهو عدم.. يخترعه الخيال السقيم.. في غيبة العقل السليم.“

(شيطان الإنس)، وإذا كان المؤثر خفيًّا في داخل الإنسان سُمي (شيطان الجن). والشيطان الذي يقف في طريق دعوة الأنبياء إما أن يكون شخصية كبيرة.. أو بتعبير العصر: شخصيةٍ قيادية.. فإنه يُدعى في التعبير القرآني (شيطان الجن).. ذلك لأن هؤلاء الكبراء يتصفون عادة بالكِبْر الذي يجعلهم بمنأى عن عامة الناس. أو يكون مناهضو الأنبياء من عامة الناس.. أو الجمهور بتعبير اليوم.. فيسمّى (شيطان الإنس). فلفظ (شيطان) اسمٌ وصْفي.. وليس عَلَمًا على أحد بعينه. قد يكون الشيء شيطانا في موقف، ولا يكون شيطانا في موقف غيره. فشعور الجوع مثلا يدفعُ المرء إلى طلب الطعام.. وهذا عملٌ مشروع، فإذا دفع الإنسان إلى تناول طعام محرّم أو ضارٍّ بصحته كان الجوعُ أو طلبُ الطعام في هذه الحالة شيطانا. وكذلك التفكير في شئون الحياة وأمور العمل واجبٌ على كل إنسان، ولكن إذا شغله ذلك عن الانتباه في صلاته مثلا كان شيطانا. وكأن الآية الكريمة تبين أن المشركين إذ يتبعون سدنة الأصنام وكهنة



المعابد.. ويعبدون تلك الآلهة الباطلة، يكونون قد انشغلوا عن دعوة الحق التي أتاهم بها نبيهم من عند الله تعالى، وهم بتصرفهم هذا المتسم بالحمق يبتعدون عن الصراط السوي. وجدير بهم أن يُسَمَّوْا (شياطين الإنس).. فكلهم مشارك في الفساد، يُغرى بعضهم بعضا بباطل من الأماني التي لن تجديهم نفعا، والله تعالى قادر على أن يزيحهم من طريق الدعوة، ولكن اقتضت مشيئته أن يكون للبشر حريةٌ وإرادة.. يختار بها العبادة عن رضىً واقتناع، وأن يعصي أو يكفر برغبته. والجزاء يأتي بعد فرصة الاختيار والتفكير والتجربة. ويكون الارتقاء والنعيم لمن أحسن الاختيار، والحسرةُ والعذاب الأليم لمن عطّل ملكاته وعقله فأساء الاختيار.

أما موقف النبي ﷺ من هؤلاء الشياطين جميعا فيتلخص في أمر الله تعالى ﴿ذَرْهُمْ﴾ أي دعهم ولا شأن لك بهم بعد التبليغ. وإذا كانت مشيئة الله أن يتركهم أحرارا يختارون الإيمان أو الكفر فليس للنبي أو غيره أن يتجاوز حد التبليغ.

لقد حكى القرآن عن كثير مما جرى بين الأنبياء.. ومنهم المصطفى صلوات الله عليهم جميعا.. وبين أقوامهم، وأوضح أن المعارضة لمنهج الله والمقاومة لدعوة الأنبياء كانت في كل مرة تأتي أول ما تأتي من جانب ﴿الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾. هؤلاء غالبا ما يجدون في أنفسهم من جموح الغرور ما يدعوهم للاستكبار والإباء والنفور من قبول النصح. إنهم أصحاب السلطة والجاه والمال.. وهم المنتفعون قبل غيرهم من غلبة الجهل وانتشار الفساد.. حيث ينعمون معاً بعائدات المنصب ومكاسب الجاه. وهم القادرون – بسبب مراكزهم القيادية وسلطانهم الديني – على أن يزخرفوا القول لضعاف النفوس وقليلي العلم من أتباعهم.. ليسيروا خلفهم في معارضة الدعوات الإصلاحية؛ ويبذلون في سبيل ذلك كل ما في وسعهم من قوًى مادية، وما تفرزه نفوسهم الجشعة من أباطيل وافتراءات.

التاريخ لا ينسى كهنةَ اليهود الذين كذّبوا عيسى عليه السلام، ورموه وأمه الصديقة بكل فرية وإفك. ولا ينسى زعماءَ قريش من أمثال أبي لهب وأُبَيّ بن خلف.. الذين اتهموا الصادق الأمينﷺ بالكذب والجنون والسحر. وفي المدينة.. وقف صاحب الملك الضائع والزعامة المفقودة.. شيخ المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وراء المؤامرات والفتنة، يحرض العامة على محاربة النبي وافتراء الكذب عليه، والتطاول على شرفه الرفيع بالزور والبهتان.

الآية القرآنية تتناول هذا النوع من البشر.. ووصفتهم بأنهم شياطين، وصنَّفتهم صنفين: دعاة الفساد وزعماء الفتنة وهم «شياطين الجن»، وجهلة العامة ممن يمشون مغمضين خلف كلِّ زاعق وناعق.. وهم «شياطين الإنس». هذه عادة البشر في القديم والحديث.. كل دعوة صالحة يقف لها شياطين الجن والإنس بالمرصاد.. والله من ورائهم محيط يحصي عليهم أفعالهم.. ويفسِد عليهم مكرهم.

ويلاحظ في الآيتين السابقتين أن القرآن الكريم استعمل كلمة (جن) في معنيين مختلفين.. ولكنهما يحملان ظلالا لما تدل عليه مادة (ج ن ن) من الخفاء أو الإخفاء.. كما هو وارد في قواميس اللغة. والقرآن الكريم نزل على العرب بلغتهم، بيد أنه يتميز بأسلوب خاص، يجعلُ له مبنًى وجرْسًا فريدا.. أكسبه تلك الخصائص البلاغية التي عرَفها له العرب، وسلموا له بأنه القمة في البلاغة وجمال الصياغة. ومن سمات الأسلوب القرآني أنه يستعمل ألفاظا عربية ذات دلالات معينة، فيسبغ عليها استعمالات حديثة اصطلاحية.. ويكسبها معانٍ قرآنيةً إسلامية خاصة.. ومع ذلك يبقى لها بعض دلالتها الأصلية وتعكس ظلالها.

ولنتأمل مثلا كلمة (الصلاة)، فهي كلمةً عربية تعني التوجه بالدعاء والمناجاة إلى الإله المعبود. ولقد استعملها لقرآن المجيد بهذا المعنى أحيانا كما في قوله تعالى: **﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى:١٥-١٦)**

وسورة الأعلى من أول ما نزل من القرآن، وكلمة (صلّى) تعني هنا: دعا ربَّه وتوجه إليه كلما تذكَّر صفات الله تعالى.

واستخدمها القرآن بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى:

﴿... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (التوبة:١٠٣)

ولَمَّا شرع الله فريضةً تعبدية تشتمل على ركوع وسجود ودعاء وتسبيح



وتكبير.. سُمِّيت في القرآن باسم (الصلاة). يقول القرآن:

﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ...﴾ (الجمعة:١٠)

فالصلاة هنا هي الصلاة الاصطلاحية بشروطها ومواقيتها المحددة.

ولما كانت نظرةُ الرضا من الله العلي الكبير ترفع منزلةَ العبد وتُقرّبُه من رحمة الله وإحساناته، فكانت بذلك بمثابة الصلاة المقبولة من العبد الصالح.. أطلق القرآن عليها اسم (الصلاة) في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ...﴾ (الأحزاب:٤٤)

والملائكة تحمل البشرى للمؤمنين فتُطمئن قلوبَهم، وتشرح صدورهم، وتبشرهم بقربهم من الله تعالى.. لذا ذكرت الآية السابقة فعل الملائكة هذا باسم (الصلاة)، عطفًا على ما قبلها. ولا يليق بعاقل أن يتصور صلاة الله تعالى على أنها دعاء للمؤمنين، أو أن صلاة الملائكة ركوع وسجود كما يفعل البشر. ولو دار بذهن أحد شيء من ذلك لوقع أمور لا تجوز في حق الله تعالى، ولا تصح بالنسبة للملائكة، ولأفسد على نفسه فهْمَ معنى الآية القرآنية، وضيّع فرصة الانتفاع بها.

وهناك الكثير من الكلمات العربية التي استعملها القرآن لدلالات خاصة، ولم يُرِد تماما المعنى الأصلي الذي استعمله العرب الجاهليون؛ ولكن ظلال المعاني لا تزال تشع في الاستعمال القرآن المجيد. من هذه الكلمات: الساعة، القيامة، البعث، الأُولى، الآخرة، الحياة، الموت، الزكاة، الهجرة، المعصية، الشهادة، الصدقة.. وغيرها كثير.

ولفظ (الجن) من الكلمات التي وردت في القرآن الكريم مرات عديدة، لتؤدي من المعاني ما يحمل ظلالا من مادة الكلمة، ولكنها لا تتفق مع المفهوم الخرافي الذي شاع بين المتخلفين من أهل البادية ومن أخذ عنهم.

ولقد رأينا من الآيات السابقة في سورة الأنعام كيف أن كلمة (الجن) تعني الآلهة الخيالية المزعومة والمتوهَمة، وتعني أيضا فريقا من البشر المتميز بموقعه الخاص بين قومه.

ونوالي النظر في الآيات القرآنية لنتعرف على استعمالات الكلمة في المواقف والمناسبات المختلفة..

تستمر سورة «الأنعام» في سرد أحداث يوم الحساب، وتوجِّه الخطاب إلى المكلفين من الإنس والجن.. أي من عامة الناس ومن خاصتهم.. من الرعية ومن الرعاة.. من الأتباع ومن القادة، فتقول:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا. يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ. وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا. قَالَ: النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَآءَ اللهُ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام:١٢٩)

> **" ولفظ (الجن) من الكلمات التي وردت في القرآن الكريم مرات عديدة، لتؤدي من المعاني ما يحمل ظلالا من مادة الكلمة، ولكنها لا تتفق مع المفهوم الخرافي الذي شاع بين المتخلفين من أهل البادية ومن أخذ عنهم. "**

أما وقد وقف شياطين الجن والإنس يعارضون دعوة الحق ويصدون عن سبيل الله، وجاء يوم الحساب، يوم يجمعهم مالك يوم الدين ويكشف لهم عن أعمالهم.. فيقول لأصحاب القيادة في الفساد وأهل الرياسة في الباطل: يا جماعة الرؤساء، إنكم اتخذتم كثيرا من العامة أتباعا لكم.. توجهونهم وجهة الشر الذي تريدون، ومحاربة الخير الذي ترفضون. كما أنكم سخَّرتم كثيرا من رعاياكم، تصعَدون على أكتافهم، وتعلِّلونهم بالأماني والأكاذيب، وتنهبون أرزاقهم بسلطانكم الجائر، فضللتموهم بطغيانكم، وزادوكم فسادا باستسلامهم لكم.

كما أنكم جعلتم لهوَى الجماهير الساذجة قيمةً كبرى، فتغرونهم بفعل ما يرضيهم، وتستجدون أصواتهم الانتخابية وتأييدهم السياسي بتملق مشاعرهم، وأغفلتم في سبيل ذلك أمانة الله التي في أعناقكم، ولم ترشدوهم ولم تنصحوا لهم، ولم تؤدوا إليهم حقوقهم التي لهم عليكم.

وحين ينكشف النقاب عما كان يدور بين الكبراء والأتباع.. يبادر هؤلاء إلى الاعتراف بأنهم قد اشتغلوا فعلا بتحصيل



الفتات الذي كان يُلقي به سادتهم إليهم، وأنهم استمتعوا بزائل من المال والجاه، وأنهم سرعان ما انقضى أجلُهم، ولم ينتبهوا إلا بعد فوات الأوان. كما أن السادة قد استمتعوا بدورهم، فكان لهم السلطان والجاه والعز والثراء.

ومثل هذا العذر لقبيح غيرُ مقبول عند الحكيم العليم، لأنه تبارك وتعالى زوّد كل امريء بنعمة العقل التي يميز بها بين الخير والشر. ومنحه حرية الاختيار والإرادة ليتجه حيث شاء. إن الجزاء العادل المناسب لكل من السادة الضالين، والتابعين لهم على طريق الضلال من منافقيهم وأذنابهم .. هو ألم الحسرة وعذاب السعير.

إن الله الحكيم قد جعل لبني الإنسان الحواس والملكات والإدراك، ورسم لهم منهاجا سماويا لو أنهم اتبعوه.. حكاما ومحكومين.. لحققوا الغرض من خَلْقهم.. ولجعلوا الأرض جنة تتجاوب في أرجائها أصداء تسبيحهم لربهم. والله العليم محيط بكل ما ارتكبوه من فساد، عليم بنصيب كل منهم ودوْره ومسئوليته، ولذلك فالجزاء عادل.. لأنه نابع من علمه وحكمته عز وجل.

ولقد جرت سُنة الله تعالى أن يكون الجزاء من جنس العمل. ومن يضعُ الأمر في غير موضعه الصحيح هو ظالم لنفسه ولغيره. كل امرئ عليه واجبه ومسئوليته قِبَل نفسه وقبَل غيره، وإذا تهرب منها واشتغل بغيرها اختل نظامه، وهدد نظام غيره بالخلل. وهكذا إذا ظلمت الرعية بانحرافها عن المنهج الإلهي تسلط عليهم حكام على شاكلتهم. وإذا فسد الحكام وسكتت الرعية عن النصح لهم ونافقوهم.. حقَّ القولُ عليهم جميعا ودُمروا تدميرا.. مصداقا لسنة الله تعالى:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء:١٧)

وبعد نعمة العقل والحواس والملكات.. أعذر الله الخلق المكلف بالخلافة والعبادة.. إذ أرسل إليهم جميعا.. في كل الأزمنة والأمكنة.. رسُلاً منهم.. معروفين لهم بالاستقامة والأمانة والصدق.. فحملوا لهم المنهجَ الذي ارتضاه الله لخلافته وعبادته في الأرض.. وحذّروهم مغبة المخالفة عن أمره. ذلك المنهج من لدن الحكيم العليم.. يعطى كل ذي حق حقه، ويطالب كل فرد بأداء واجبه والوفاء بمسئوليته.

وتمضى السورة لتبين لنا من عالَم الغيب هذا الموقف من يوم الحساب.. ليكون تذكرة وتبصرة:

﴿ يَا مَعْشَرَ الجنِّ وَالإنس، أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا؟ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا. وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأنعام:١٣١:٦)

نداء واستفهام للتقرير والتقريع. ينادي: يا جماعة الكبراء ويا جماعة العامة! يا جماعة القادة ويا جماعة الأتباع، يا معشر أولي الأمر ويا أيها الرعية! هل تعترفون بأن الله أرسل إليكم رسلا من بينكم.. تعرفونهم ويعرفونكم.. تشهدون لهم بالصلاح، وحسن الخلق، وشرف الكلمة، وطهارة السيرة. أقاموا الأدلة البيِّنة على أنهم من عند الله تعالى.. وبلّغوكم منهجَ الحياة الذي ارتضاه الله لسعادتكم، وحذّروكم سوء العاقبة إذا خالفتم منهج الله؟ فلا يملكون إنكاراً، ويبادرون إلى الاعتراف والتسليم.

ولكن الفريقين كانوا منغمسين في ملذات الدنيا ومطالب العيش، وغفلوا عمَّا وراء ذلك. فلا جزاء لهم إلا سوءَ حالهم، وضياع دولتهم، وكسْر شوكتهم، وخراب عامرهم.. جزاء وفاقا لسوء سلوكهم وتعاميهم عن سواء السبيل.. مصداقا لقول الله تعالى:

﴿ ذَلكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلكَ الْقُرَى بظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافلُونَ﴾ (الأنعام:١٣٢)

وتمضى الآيات التي تخاطب الجن والإنس.. لتقرر أن الله تعالى لا يغيب عنه ما يفعله كل فرد منهم، وأن كلاًّ منهم سينال جزاءه الذي يستحقه بحسب عمله. وسردت الآيات بعضاً من أباطيلهم.. إذ حلّلوا وحرّموا من الأنعام كما زين لهم هواهم، مع أن الله تعالى خلقها لمنفعة الناس جميعا.

فسياق السرد القرآني لا يُفهم منه ما يُخرج المخاطبين عن مألوف البشر، غاية ما في الأمر أنه يبين أن مسئولية البشر



عامة.. يشترك فيها الحكام والرعية، وأن الهداية الربانية عامة ليهتدى بها الخاصة والعامة، وأن الرُّسلَ للبشر وهُم منهم. والنبي الأعظم محمد المصطفى ﷺ.. هو نبي للإنس والجن بلا خلاف. والكتابُ الذي أنزل عليه- أي القرآن المجيد- يخاطب الجن والإنس. فلا مناص من أن يكون الفريقان اللذان أُرسل إليهما رسولٌ منهما من جنس واحد.. أي من البشر. وخلاصة القول إن الفريقين جنسٌ واحد، ولا فرق بينهما إلا في بعض الخصائص التي تتعلق بالوظيفة الاجتماعية أو المركز الأدبي بين الناس.

ولا بأس من زيادة الإيضاح هنا؛ فنذكّر أنفسنا بأن الفئة الحاكمة سُمِّيت في القرآن (جنًّا) لأن صفة الخفاء أو الإخفاء تلازمهم من زاويتين: الأولى- لأنهم في العادة ناءون عن العامة والرعية بحكم مراكزهم القيادية.. خلفَ أسوار قصورهم وأبواب عروشهم.. يحجُبهم الحراسُ والحجّاب عن الناس. والثانية-لأنهم يحجبون الناس ويغطُّون عليم إذا كانوا معهم.. ذلك لأن زخارف الملك وبهارج السلطان من حولهم تبهر العيونَ وتجذب الأنظار نحوهم، فلا يُرى في وجودهم غيرُهم. ولعلنا نستحضر صورة أحدهم عندما تتركز عليه عدسات التصوير وبريق الأضواء.. فلا يظهر على شاشة التلفاز إلا مُحَيَّاه، ولا تقع العيون إلا على طلعته البهية.. وكل شخص سواه مجرد خلفية للصورة.. أو «ديكور» لإبراز الأصل دون أن يلفت هو الأنظار!

من نوادر الجاحظ

الأدب العربي من أغنى آداب اللغات في الظرافة والفكاهة حيث تعرفنا من خلاله على كثير من الشخصيات الهزلية التي سرّتنا بمواقفها المضحكة. وأشهر هذه الشخصيات «الجاحظ» الذي تبلغ مصنفاته زهاء ثلاثمائة مملوءة بلغة لطيفة راقية مضحكة، وتحتوي على دقائق العلم وفرائد الأدب. ذكر في كتابه المعروف عن الحيوانات كيف قسَّم أعرابيٌّ الدجاجَ بين أهل بيت بذكاء وفطنة. يقول الجاحظ:

قالً أبو الحسن: حدثني أعرابي كان ينزل بالبصرة قال: قَدِمَ أعرابي آخر من البادية فأنزلتُه، وكان عندي دجاج كثير ولي امرأة وابنانِ وابنتان. فلما حضر الغداء جلسنا جميعا، أنا وامرأتي وابنايَ وابنتايَ والأعرابي. قال: فدفعنا إليه الدجاجة فقلنا له: أقْسِمْها بيننا، نريد بذلك أن نضحك منه، فقال: لا أُحسِن القسمة، فإن رضيتم لقسمتي قسمتُها بينكم. قُلنا: فإنا نرضى. فأخذ رأس الدجاجة وقطعه فناوَلَنيه وقال: الرأس للرأس؟ وقطع الجناحين وقال: الجناحان لابنين. ثم قطع الساقين وقال الساقيان لابنتين. ثم قطع الزمكى (أصل ذنب الطائر) وقال: العَجُزُ للعجوزِ. وقال الزورُ للزائر. ثن أخذ الدجاجة بأسرها وسَخِرَ منا.

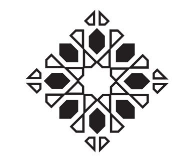
قال: فلما كان الغد قلت لامرأتي: اشْوِي لنا خمسَ دجاجات فلما حضر الغداء قلت: اقْسِمْ بيننا. قال: إني أظن أنكم وجدتم في أنفسكم. قُلنا: لا نجد في أنفسنا فاقْسِمْ. قال: اَقسم وِترًا أو شفعًا؟ قلنا: اقسِمْ وترًا. قال: أنت وامرأتك ودجاجة، ثلاثةٌ. ثم رمى إلينا بدجاجة. ثم قالَ: وابناكَ ودجاجة ثلاثةٌ، ثم رمى إليهما بدجاجة، ثم قال: وابنتاك ودجاجة، ثلاثٌ، ثم رمى إليهما بدجاجة. ثم قال: أنا ودجاجتان ثلاثةٌ، وأخذ دجاجتين وسَخِر منًّا! قال: فبدأنا ننظر إلى دجاجتيه. فقال: ما تنظرون! لعلكم كرهتم قسمتي!؟ الوتر لا يكون إلا هكذا فهل لكم في قسمة الشفع؟ قلنا: نعم. فضمهن إليه، ثم قال: أنت وابناك ودجاجة أربعة، ورمى إلينا بدجاجة. ثم قال: والعجوز وابنتاها ودجاجة أربع، ورمى إليهن بدجاجة. ثم قال: أنا وثلاث دجاجات أربعةٌ، وضم إليه الثلاثَ ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم لك الحمد، أنتً فهَّمْتَنيها. (كتاب الحيوان للجاحظ)

إعداد: مقبول أحمد ظفر، ربوة (باكستان)



الجن.. في القرآن الكريم

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



* رئيس تحرير «التقوى» السابق

سورة الأعراف

وعندما ننتقل إلى السورة التالية.. سورة (الأعراف) يزداد المعنى السابق وضوحا. فقد جاء في الآيات الأولى منها (٨-٣٨).. سلسلة من النداءات تقول ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾. وتتضمن هذه النداءات توجيهات كريمة، تحث المخاطبين على التحصُّن من الشرور والوقاية من السيئات بارتداء اللباس المناسب.. وخصوصا لباس التقوى، ليكون رداءً يقي ابن آدم من تأثيرات الشيطان.. ذلك المضلل الذي يتسلل من منافذ الغرائز والشهوات والأهواء.. والذي يفعل فعله المتلصص في غفلة من المرء، ذلك لأن مثل هذه المؤثرات تسري في النفس دون أن يتنبه لها المرء تماما وهو في خضَم انشغاله بها. أما المتحصنُ بلباس التقوى فلا سبيل لها إليه.. فهو كالمتدثر بثوب من الصوف يحميه من لسعات البرد.

ولعل التحذير الإلهي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ.. ﴾ (الأعراف:٢٨) من الأسباب التي جعلت البعض يقول بوجود خلق آخر، يختلف عن الإنسان.. وأن من صفاته أنه غير مرئيٍ لنا. والآية بريئة من هذا المفهوم لأنها تتحدث عن الشياطين.. ومنهم شياطين الإنس، كما أن منهم شياطين الجن. والإنس مرئي ظاهر، والفتنة والخطر ليسا وقفاً على شياطين الجن وحدهم.

فكلمة ﴿يَرَاكُمْ﴾ يعني أنه يرى مواطن ضعفكم فيصل إليها، أما ﴿قَبِيلُهُ﴾ فهو ما يلحق به من عوامل تساعده على التأثير. وقوله ﴿مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ أي من حيث لا ينتبه المرء إلى تأثيرهم.. وذلك حين الغفلة.. حين الانشغال بالهوى عن التعقل والتفكير.



وإبصار الشيطان وعدم رؤيته لا يحدث فرقا في مدى تأثيره، فمثلا إذا أغرى صاحبٌ صاحبَه وزيّن له ارتكاب منكر حتى استجاب، فماذا يجديه الإبصار هنا؟ لقد وصل إليه التأثير مع أنه يراه ويصاحبه، ولا معنى للتحذير مما لا تأثير له. إن الصاحب أطاع صاحبه المضلل لأنه غفل ولم يدرك بقلبه تأثيرَه السيء. فغفلة القلب هي الخطر الحقيقي الذي لابد من علاجه. و ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ، لأنه الدرع الواقي من خطر الشيطان.. رأته العين أم لم تره. فالخفاء ليس صفة ذاتية للشيطان، وإنما هي تأثيراته المتسللة إلى القلب الغافل.. لأنها تخاطب الغرائز الباطنة التي تجرى من الإنسان مجرى الدم- حسب قول المصطفى الحكيم الأمين ﷺ – فلا ينتبه لها الإنسان. ومن غفل فقد عمي وفقد الرؤية.

فإذا وصلنا إلى قوله تعالى:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف:٣٦) أدركنا أن الرسل الذين يهدون إلى منهج الله تعالى هم من بني آدم.. من البشر، وأن من اتقى واهتدى بما جاء به رسل الله من بينات.. وأصلح في قصده ومسلكه، لا يلقى خوفا ولا حُزنا.. لا في دنياه ولا في آخرته، بل له الأمن والطمأنينة والسعادة والنعيم.

أما من أشرك وكفر فحق عليه قول الله:

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ. كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا. حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ: رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا.. فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ. قَالَ: لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٩)

وهكذا يزداد الأمر وضوحا. فالأمم التي يخاطبها القرآن الكريم تتكون من (جن) و (أنس). الجن هم أصحاب القيادة في الحياة الدنيا، ومن ثَم يُقَدَّمون على غيرهم عند دخول النار. وهذا الوعيد يُبرز دور القيادة ومسئوليتها.. فمن يقود قومه إلى الشر يقودهم أيضا إلى جهنم. ولقد أشار القرآن إلى هذا عندما حكى عن فرعون وقومه فقال:

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود:٩٩)

فهو يخجل على رأس قومه ليكون أول من يَصْلَى لظَى جهنم.. كما كان على رأس قومه الذين غرّر بهم في الدنيا. فإذا تم عدد الزعماء (الجن) في النار دخل بعدهم الأتباع (الإنس).. وهناك يلتقي الفريقان ليتلاعنا. الأتباع يلعنون سادتهم غضبا وتحسُّرا.. لأنهم كانوا سبب ضلالهم وسوء مآلهم، ويدعون الله أن يضاعف العذاب لمن كانوا السبب في هلاكهم.

وعذاب الخروج على منهج الله شديد أليم، بالغ الشدة والألم.. بحيث أن من رماه سوء فعاله فيه أحس كأن عذابه مضاعف.. فما للإنسان طاقة على احتماله والصبر عليه.

ثم تمضي الآيات بعد ذلك لتبشر المؤمنين الصالحين بأن الخلود في نعيم الجنة هو جزاؤهم، فيحمدون الله تعالى على ما أتاهم من هداية على يد رسله وحَمَلة وحيه ومنهجه. وهكذا نرى أن القرآن المجيد لم يُفرق بين جن وإنس.. سواء في التكليف أو في الجزاء. ولا معنى لذلك إلا أن الجن والإنس سواء في تكوينهم النفسي والجسدي.. وأنهم نوع واحد.. لا فرق بينهم إلا في الدور الوظيفي داخل المجتمع البشرى. ولذلك أراد الله تعالى أن يؤكد للجميع بأن البشر أمامه سواء.. كلهم مكلف حسب طاقته، وكلهم محاسب حسب وعيه ونيته. ولا فرق بين سيد ومسود.. أو تابع ومتبوع. فهم جميعا خلقٌ ضعيف، بحاجة إلى اتباع المنهج الإلهي للفوز برضوان الله تعالى.

يتضح من الحوار الذي يجري بين الجن والإنس من أهل النار.. أن التابعين ليسوا بأفضل من المتبوعين في شيء، وأنه إن كانت القيادة في الشر جريمةً قبيحة.. فإن الانقياد أيضا جريمةٌ شنعاء. والعقاب الشديد نازلٌ حتمًا بالفريقين، جزاءً وفاقا لمن أفرط ولمن فرّط.



ونوجه الانتباه هنا إلى أن النداءات القرآنية في هذه السورة.. والتي تكررت عدة مرات قائلة: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، تناولت من التوجيهات الإلهية ما يتعلق بالجنس البشرى وحده: من لباسٍ خارجي يستر السوءات فلا تنكشف، ولباسٍ معنوي يستر النفوس من الشرور والآثام، والتزين للصلاة، وعمارة المساجد، وبعث الأنبياء ليُعَلموا البشر آيات الله، وثواب المطيع الذي اهتدى وأصلح، وعقابِ الخالف الذي استكبر وأفسد.

ثم تناولت الآيات يوم الحساب.. يوم يتلاقى المكذبون الظالمون في النار، فيكون أول الداخلين فريقاً سماه القرآن باسم (الجن)، ويدخل من بعدهم الفريق الذي دعاه القرآن باسم (الإنس). والفريقان كلاهما يدخلان تحت النداء القرآني: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾. وليس ثمة مجال للجمع بينهما في هذا النداء، وتبادُل الشماتة والتلاعن بينهما إلا إذا كانا سويًّا من (بني آدم) فعلا، وما فرَّق بينهما تحت اسم (الجن) و (الإنس) الا الدور المتميز لكل فريق منهما في الظلم والتكذيب والإفساد. فأولئك القادة، وهؤلاء الأتباع.

ومن المناسب هنا إلقاء بعض الضوء على قول الله تعالى:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا. إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ. إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:٢٨)

لقد ذهب كثير من المفسرين في فهمها بعيدا، وجاءوا بأقوال هي خليط من جاهلية أهل الكتاب وخرافات الخيال! ولنبدأ القول بالحديث عن الشيطان. سبق أن ذكرنا أن الكلمة أصلُها من مادة (ش ط ن) وتعني البُعد، فيقال: شَطُنت الدارُ: بعُدت ونأت. والشيطان هو الذي ابتعد تماما عن طريق الحق والخير، أو هو الذي يُبعِد غيره عن الهداية والرشاد.

ويقال أيضا أن الكلمة أصلها من (ش ي ط) أي احترق. فالشيطان هو من اصطلى بنار الحسرة لحرمانه من الخير. وبين المعنيين قرابة.. فإن من حُرم الهداية الإلهية تحولت حياتة إلى جحيم وكانت عاقبته جهنم.

والمؤثر النفسي أو المعنوي الذي يُبعد المرء عن المنهج الإلهي، ويحيد به عن سبل الخير.. شيطان. وهو شيطان الجن لأنه يفعل فعله في خفاء فلا يتنبه له المرء، ولذلك وصفه القرآن بأنه شيطان يرى ضحيته– أي يصل إليها ويؤثر فيها – من حيث لا تراه الضحية، أي لا تدرك تأثيره ولا تفطن له.

وتقدم الآية الكريمة تحذيرا إلى كل البشر، إنسًا وجنًّا، من فتنة هذه المؤثرات الشيطانية، التي تتسلل إلى النفس البشرية على حين غفلة من صاحبها.. تحت ستارٍ براق من المغريات المشروعة أو غير المشروعة.. فيقع فيها وتورثه الندم.

وقد مرّ سيدنا آدم – أبو السلسلة الحالية من البشر الذين تشرفوا بالتكليف الإلهي، وأول نبي حمل شريعة الله إلى بني جنسه، فنُسبوا إليه تخليدا لهذا المنعطف الخطير في تاريخ البشرية وتحولها إلى الإنسانية.. أقول مرَّ بتجربة مع هذا الشيطان.

أُمِرَ آدم (عليه السلام) أن يجتنب زعيما مغرورا من زعماء قومه.. كان قد أعلن العصيان والخروج على طاعة آدم الرسولِ المبلِّغ عن ربه. أعلن العصيان وأصر عليه استعلاءً واستكبارا وبغيا، بل وجاهر بعزمه على مقاومة الأمر الإلهي والإفساد بكل السبل. وحذر الله آدم من نوايا هذا العدو الحاقد الحاسد. وعمل آدم فترة من الزمن بهذا التحذير، ولكنه بعد مضي الوقت قلّ حذرُه، ووقع تحت تأثير الاعتقاد بقدرته على إصلاح (إبليس) ومن معه من أتباع وأعوان. وظن أنه إذا نجح في هذه المهمة الصعبة فإنه يكون بذلك قد قام بإنجاز عظيم يكسبه المجد وخلود الذكر، وهو قبل كل شيء من صميم واجباته كنبي معلم. وحسِب أن تكون ضغينة إبليس قد خفَّت حدتها مع الزمن، ولا بأس من المحاولة الخيِّرة.

" وعلى ضوء هذا الدرس القيم يعلمنا القرآن أن ﴿لباس التقوى﴾ هو خير وقاية لنا من هجمات الشيطان إذا أراد أن يتسلل إلى داخلنا، كما يحمينا اللباس المادي من هجمات الجو الخارجي. ولا شك أن الذين لا يقدرون التقوى حق قدرها، ويحسبون أنهم قادرون على حماية أنفسهم بأنفسهم.. لا شك أنهم جعلوا من أنفسهم بذلك أنصارا للشيطان، فيملأهم غرورا، ويوردهم شر الموارد، ولن يجدوا لهم من دون الله تعالى هاديا أو نصيرا. "

لقد كانت هذه الخواطر الطيبة.. في نفس النبي الحريص على نجاح مهمته.. شيطانا أنساه الحذر الواجب، والالتزام بالتحذير الإلهي من ربه العليم الخبير.. الذي لا تخفَى عليه خافية. وهكذا وقع آدم في الفخ الشيطاني، المموَّه بالنوايا الطيبة، واستطاع إبليس وجماعته مهاجمة آدم من حيث لم يحتسب.. بعد أن عرفوا مواطن الضعف في منطقته، وفاجأه مفاجأةً لم يُغْنِ معها استنفار آدم لشباب قومه (من ورق الجنة)، وأجبر آدم وجماعته على الخروج من منطقتهم الغنية بالثمار والمياه. لقد نسي آدم ووضعَ سلاحَه القوي الذي كان يحميه من عدوه.. ذلك بفعل الإغراء الشيطاني ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، فانكشفت ثغوره ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾. نعم، تنكشف العورات إذا انحسر اللباس عن الجسد.

وعلى ضوء هذا الدرس القيم يعلمنا القرآن أن ﴿لِبَاس التَّقْوَى﴾ هو خير وقاية لنا من هجمات الشيطان إذا أراد أن يتسلل إلى داخلنا، كما يحمينا اللباس المادي من هجمات الجو الخارجي. ولا شك أن الذين لا يُقَدِّرون التقوى حق قدرها، ويحسبون أنهم قادرون على حماية أنفسهم بأنفسهم.. لا شك أنهم جعلوا من أنفسهم بذلك أنصارا للشيطان، فيملأهم غرورا، ويوردهم شر الموارد، ولن يجدوا لهم من دون الله تعالى هاديا أو نصيرا.

كما يمكن أيضا تسمية إبليس شيطانا.. لأنه ابتعد عن طريق الخير، وضلل قومه معه، وعزم على إفساد المهمة النبوية لسيدنا آدم. كما يمكن أيضا إطلاق اسم شيطان على من استعان به إبليس لإغراء سيدنا آدم كي يتصل به وبقومه، وزين له هذا الأمر وأنساه الحذر.

ولعل القارئ لسورة (الأعراف) يلحظ أن الأنبياء الكرام - صلوات الله وسلامه عليهم وعلى خاتمهم وإمامهم المصطفى- قد لاقوا معارضة وتكذيبا ومقاومة من أقوامهم بقيادة فئة بعينها:

فمن قوم نوح:

﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأعراف:٦١)

ومن قوم هود:

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (الأعراف:٦٧)

ومن قوم صالح:

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ.. أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ؟ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (الأعراف:٧٦)

ومن قوم شعيب:

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَرْيَتِنَا..﴾ (الأعراف:٨٩)

ومن قوم موسى:

﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف:١١٠)

ولعل القارئ قد أدرك بعد تلاوة هذه الآيات وتدبرها أن (الجن) هم السادة.. (الملأ الذين استكبروا) وأنهم أول من يدخل النار ويصلى سعيرها؛ وأن القرآن سماهم (الجن) لتميزهم وكبرهم ودورهم القيادي.

وتمضي آيات سورة (الأعراف) تسوق المثل تلوَ المثل لمواقف (الأبالسة) مع (الأوادم).. فكل نبي هو (آدم) روحاني لقومه ومثيل له من حيث



مهمته ومنهجه. ولكل نبي وقفَ ملأ من المستكبرين، وهم أبالسة وإن اختلفت الأسماء. قد يكون الاسم (فرعونَ) أو (أبا لهب)؛ لا يهم الاسم.. لأنهم في أفعالهم ومواقفهم أبالسة. وكما كان إبليس ﴿مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي "زعيما" مأمورا بطاعة منهج الله.. كذلك الذين جاءوا من بعده.. كانوا من الجن وفسقوا عن أمر ربهم. وسيبقى إبليس دائما موجودا على الأرض بين الناس مُمَثَّلاً في أشخاصهم، لأن الله لم يكتب الخلود لأحد أبدا في الدنيا.. مصداقا لقوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ (الأنبياء:٣٥)

ولكن دور (إبليس الأول) متجددٌ بمن يخلفه ويسير على منواله في الغرور والغطرسة والاستكبار والعمى عن الهدى.

وتحكي السورة تلك العادة البشرية الذميمة.. فكلما أرسل الله هداية للبشر، على يد رجل صالح يصطفيه من بينهم لهذه الغاية الجليلة.. قام الأبالسة والشياطين لدعاة الهدى بالمرصاد. وما من حجة في أيديهم سوى سلاح القوة الغاشمة، والمغالطات المكشوفة، والإغراء بمتع الحياة الدنيا. ولا مناص من أن يكون عذاب جهنم من نصيب هؤلاء الأبالسة، يجدون في لظاها العقاب الرادع والعذاب الزاجر.. تقول الآية الكريمة:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ، لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا. أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ. أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف:١٨٠)

نعوذ بالله من هذا العجز التام!! لقد عطلوا حواسهم عن الإدراك السليم المنجي من ا لضلال، واستخدموها في الأهواء والشهوات الدنيوية. خلعوا عنهم لباس التقوى، فنال منهم الشيطان بطعناته المهلكة، وكانوا لجهنم حطبا.

وها هي الآية تعلن بجلاء تام أن الإنس والجن مشتركون في أدوات الإدراك من قلب وعين وأذن. وأنهم مشتركون في الغفلة وسوء الاستعمال لتلك الملكات والحواس. وأنهم مشتركون في سوء العاقبة، وأنهم يصْلُون نفس العذاب.. نارَ جهنم التي تشوي الأجساد والجلود.. وهم البشر. ولقد قرنت الآية الكريمة بين الجن والإنس حتى لا يحسبن أحد من المغرورين.. السادة والقادة.. أنه بمنجى من العقاب الأليم المهين بسبب مركزه أو مكانته بين العامة. وحتى لا يظنن أحد من العامة أن انقياده ومناصرته لهؤلاء السادة في طريق الباطل ينفعه يوم الموقف بين يدي الله العزيز القدير.

> ❞ وتحكي السورة تلك العادة البشرية الذميمة.. فكلما أرسل الله هداية للبشر، على يد رجل صالح يصطفيه من بينهم لهذه الغاية الجليلة.. قام الأبالسة والشياطين لدعاة الهدى بالمرصاد. وما من حجة في أيديهم سوى سلاح القوة الغاشمة، والمغالطات المكشوفة، والإغراء بمتع الحياة الدنيا... ❝

إن السادة والكبراء الظالمين متساوون مع العامة والأتباع يومئذ في ضعفهم وقلة حيلتهم.. بل إن السادة ينالون أشد العقاب نظير دورهم القيادي في الفساد والإفساد.

ولنتأمل كيف أن الآية الكريمة شبّهت تلك الكائنات(الأنواع) البشرية بالأنعام.. لكونها تنقاد لغرائزها انقيادا غبيا. ولقد صدقت الآية في أن البشر الذين تُنسيهم شهواتُهم حدود ما ينفعهم وما يضرهم.. هم أضلُّ من الأنعام التي تهتدي بغرائزها ولا تتمادى في الشهوات. وليس للقادة الفجرة الغافلين من كرامة تميزهم، فهم أيضا أضل من الأنعام، فإن لقطعان الماشية أيضا قادة محنكة، تقودها نحو المراعي الخصبة، وتناور بها للنجاة من العدو المفترس. ولكن القادة من البشر الذين أعماهم الغرور يقودون رعيتهم معهم إلى الهلاك .. تماما كما يقود الكبشُ القطيع وراءه إلى المذبح!! والفرق بينهما



أن الكبش لا يدرك الخطر الخفي، وليس بوسعه أن يدفعه.. أما قادة الشر بين البشر فهم يعطّلون حواسهم ولا يستجيبون لعلامات التحذير والإرشاد!!

سورة هود

ثم ننتقل بعد ذلك إلى سورة (هود). تناولت السورة تكذيبَ قريش للنبي ﷺ وزعمَهم أن القرآن كتاب من افترائه. فتحدتهم السورة أن يأتوا بعشر سُور مثل سُورَه. وقصت السورة عليهم أنباء الأقوام السابقين وموقفهم المماثل تجاه رسلهم بدءا بقوم نوح عليه السلام، الذين نظر زعماؤهم إلى نبيهم نظرة ازدراء، ووصفوا المؤمنين بأنهم حفنة من الأراذل لا وزن لهم. ولما رأى الملأ السفينة سخروا وضحكوا.

ثم عطفت السورة على قوم هود وكيف تبع العامة منهم رؤساءَهم الجبارين. ومن بعدهم قوم لوط وقوم شعيب ثم فرعون وحاشيته وجنوده. لقد أفسدت تلك الأقوام في الأرض، وخالفوا منهج الله وعصوا رسله، فنزل بهم الهلاك. والهلاك إذا نزل لم يُفَرق بين جن أو إنس، بل يصيب السادة والأتباع معاً. لقد أخذ الطوفان قوم نوح كبيرا وحقيرا.. واستأصل العقاب عادا وثمود فلم يبق على أمير أو عبيد.. وأخزى العذاب قوم لوط ومَدْيَن، فأفنى السادة مع الرعية!!

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ.. إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود:١٠٣)

ولقد ألحت الآية قبل هذا إلى السبب في ذلك حيث قالت:

﴿.. فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيد * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ..﴾ (هود:٩٩)

فالعذاب ينزل بالقرى عن بكرة أبيها، والعذاب يأخذُ الحاكم والمحكوم ما دام الجميع في الظلم مشتركين.

وتمضي السورة تحذر أمة محمد ﷺ فتقول:

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ الله مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ (هود:١١٤)

فعلى الجماهير ألا تنقاد وراء قادتها فيما يخالف منهج الله، فإن ذلك ظلم يجعلهم مستحقين للعقاب، ولن يجدوا من يحميهم من غضب الله تعالى. وعلى أولي الأمر ألا يستعملوا الظالمين من رعيتهم حتى لا يوقعوهم تحت طائلة المسئولية في الظلم وينالهم سخط الله.

وتُختم السورة بالقانون الإلهي:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ * وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً.. وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إلا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ. وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود:١١٩)

ما دور الجنة هنا؟ ولماذا يُهدَّدون بدخول النار مع الظالمين من أهل القرى؟ الجواب المنطقي للجمع بينهما في هذا السياق.. هو أن الجنة فريق من أهل القرى يمتاز بالقيادة، ولذلك جاء ذكرهم في مقدمة الذين تمت كلمة رب العالمين ليدخلنهم النار.. مع من يتبعهم من الرعية. وتأمَّل كلمةَ (الناس) في الآية! عندما تحدثت الآية عن أهل القرى بصفة عامة أسمتهم (الناس)، ثم صنَّفتهم صنفين: الجنة والناس. فكأن كلمة (الناس) تطلق على البشر عموما من كل صنف ونوع ولون وطبقة، وكلمة (الجن) في مقابلها تعني الخاصة، أي الطبقة القيادية أو أولى الأمر والفئة المتميزة. ويلاحظ هنا أن كلمة (الجِنَّة) تعني صنفا معينا من الجن.. هم في هذه الحالة القادة الظَلمة الفسدة، المستحقين للعقاب الإلهي.

ولا يفوتنا في هذه المناسبة أن نلفت الانتباه إلى أمرين هامين وردا في الآية الكريمة، وجدير بنا أن نتفهم مغزاهما:

أولهما: إن الأمم لا يصيبها الانحطاط، وينزل بساحتها العذاب والهلاك.. وهم مصلحون، لأن ذلك ظلم.. تعالى الله عنه علوا كبيرا. فإذا رأينا أمة تهوي في ظلمات الجهل والفقر والمرض، فليس ذلك ابتلاء لها من الله تعالى.. كلا، بل



هو عقاب أصابها بسبب انحرافها الشديد عن الصراط الإلهي المستقيم، وإمعانها في إغضاب الله عز وجل، فاستحقوا أن ينزل بهم العقاب العام.

وثانيهما: إن بعض الناس يفهمون الآية فهما خاطئا.. إذ يحسبون أن قوله تعالى ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يعني أن الناس خُلقوا للاختلاف: والحقيقة أن الخالق.. الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء، إنما خلق الناس لينهلوا من معين رحمته. فالإشارة في كلمة (لذلك) إنما تعود على المشار إليه الأقرب.. وهو قوله ﴿إلا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أي.. لرحمته تبارك وتعالى.

والمعنى الإجمالي للآية: أنه لو كانت مشيئة الله أن يكون الناس أمة واحدة لحملهم على ذلك، أي لخلقهم مجبولين على الطاعة.. مثل الملائكة وغيرهم من الكائنات التي لا تعصي ولا تُفسد ولا تخرج أبدا عن منهج الله. ولكن الله أراد أن يكون الناس خلْقا حُرا مريدا، يختار اتباع منهج الله عن طواعية، فيستحق بذلك أن ينعم برحمة الله، ويستمتع بما لا يستمتع بمثله الذين جُبلوا على الطاعة الإجبارية.. من ملائكة أو غيرهم من المخلوقات الأخرى. وأن الله كما وعدهم برحمته الفياضة الواسعة، فإنه حذرهم من عقابه الأليم جزاء وفاقا للخروج عن طاعته استكبارا وعلوا. وفي النار متسع لكل عاص مُصرٍّ على العصيان، سواء كان من الجن أو من الإنس. ومثل هذا العقاب لا ينزل أيضا بالخلق المجبول على الطاعة لأنه لا يملك إرادة المعصية. فالإنسان – جنا وإنسا – هو الحر المريد.. المجازَى على عمله. وإذا كانت مشيئة الله تعالى هي ألاّ يجبر البشر على منهج واحد.. فليس لكائن مَن كان أن يجبرهم على ذلك.

قُتل الإنسان ما أكفره!

شكى رجل إلى صديقه فقره وأظهر له حزنه.

فقال له الصديق الحكيم:

أيَسُرُّك أن تكون أعمى ولك عشرة آلاف؟

قال: لا.

فقال: أفيسرك أن تكون أخرس ولك عشرة آلاف؟

قال: لا.

فقال: أيسرك أن تكون مقطوع اليدين والرجلين وتكون لك عشرة آلاف؟

قال: لا.

فقال: أفيسرك أن تكون مجنونًا ولك عشرة آلاف؟

قال: لا.

فقال: أفما تستحي أن تشكو الله وله عندك أربعون ألفًا وأكثر.

حلقة فيها الشفاء

(عسل) (لسع)

نجح فريق من الباحثين المصريين باستخدام لدغات (نحل العسل) لقضاء على فيروس التهاب الكبد .

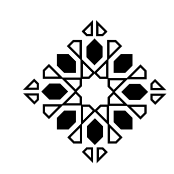
وأوضحت دراسة علمية نشرت في القاهرة أن العلاج يتم بواقع لدغة واحدة يوميا تحت إشراف طبي ولمدة ١٥ يومًا، ممّا يؤدي إلى تنشيط الجهاز المناعي للمريض ضد الفيروس والقضاء عليه نهائيا في الدم.

لاحظْ أن كلمة (عسل) هي عكس (لسع) والعكس صحيح.. وفي الاثنين شفاء.



الجن.. في القرآن الكريم

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



سـورة الحِجْـر

ثم نأتي بعد ذلك إلى سورة الحجر إذ يقول تعالى:

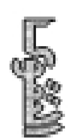
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر:٢٦-٢٨)

هذه هي الآية الأولى من القرآن الكريم التي تتحدث عن خلق الإنسان والجان. وهي تشير إلى صفة رئيسية في الإنسان، تولدت فيه بعد أن مر بسلسلة مديدة من الإعداد والتطوير.. حتى وصل إلى هيئته الحالية.

وفي آيات أخرى ذكر القرآن أن الإنسان مخلوق من تراب، ومن طين، ومن صلصال، ومن ماء. وعلى ضوء هذه الآيات يمكن أن نتعرف على المراحل الأساسية التي مر بها خلق الإنسان من البنية المادية. ولكن الأهم من ذلك هو أن نتنبه إلى الصفات الرئيسية الكامنة في الفطرة البشرية والملكات التي اختُص بها دون سائر المخلوقات.

قد نستخلص من آيات الخلق البشري أن المادة التي بدأ منها البناء الجسدي هي الماء الذي يغطي نسبة كبيرة من القشرة الأرضية. واختلط الماء بالتراب الذي يكون على سطح الأرض. وإذن فالبداية من الطين. وإذا جف الطين غلُظَ وصار صلصالا، ثم يجمد ويكون كالفخار. ثم تعرَّض الصلصال لسلسلة من تأثيرات إشعاعية وكيميائية وفيزيائية.. فتخلقت الجزيئات الأولية التي تتكون منها

* رئيس تحرير «التقوى» السابق



> ”وكان هذا الكائن البشري البدائي سريع الانفعال، شديد الاستجابة لغرائزه، يغلب على طبعه التأجج والثوران. كان كشعلة من نار السموم، يندفع اندفاع الرياح الساخنة. كما كان مخلوقا نافرا، لا يأنس إلى غيره ولا يأتنس به غيره.. يميل إلى العزلة ليأمن شر أعدائه، ويتربص بفرائسه.. كان جانًا.“

المركبات العضوية. وباستمرار هذه العمليات تزداد المركبات تعقدا وتنوّعا حتى تنتهي إلى اللبنة الأولى التي تتكون منها الخلية الحية (RNA,DNA).

ولا يغيبن عن البال أن القرآن أعلنها صريحة بأن الماء هو مصدر الحياة لكل مخلوق يعيش ويدب على هذه الأرض ويعتمد على مادتها في بقائه حيا.. حيث قال:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ.. ﴾ (الأنبياء: ٣١)

﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِه، وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ.. ﴾ (٢٤:٤٦)

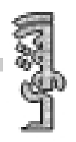
والجان من الأحياء التي تعيش في الأرض وتدب عليها، فهو مخلوق من الماء، والماء ضروري لاستمرار حياته. والماء مادة موزونة محسوسة، وإذا دخلت في بنية كائن جعلته حتما محسوسا موزونا. وإذن فالجان من الخلق المحسوس الموزون.. وليس من الخيالات أو غير الماديات كما يظن البعض.

وتفاصيل عملية الخلق بعد ذلك من الأمور المادية الكونية.. التي تخضع للبحث العلمي، ويمكن للباحثين أن يصلوا فيها إلى نتائج تشبع فضولهم. كما أنها ستبقى لغزا يتحدى العلمَ ليحاول حله.. بما يساعد على تقدم البشرية وتطورها. ولا مجال للأدعياء هنا فيزعم بعضهم علما في هذا المجال على أساسٍ من خرافات الأقدمين أو خيالات المحدَثين.

وقد اختارت الآية الكريمة "المرحلة الصلصالية" من خلق الإنسان.. إيماء إلى صفتين يتميز بهما الإنسان: الصفة الصلصالية الأولى.. هي القدرة على التشكل بيسر، والاحتفاظ بالشكل المكتسب حتى تتدخل قوَى التشكيل لتغيره. والصفة الثانية هي الرنين، وهي الانفعال الصوتي.. فكما أن الصلصال إذا جف تصلب وصار فخارا، يحدث رنينا إذا اصطدم بجسم صلب.. كذلك الإنسان إذا ما اشتد عوده بحرارة الوحي السماوي فإنه ينفعل به ويردده ويُسمِعه لمن حوله. فالإنسان متطور غير جامد، وهو قابل للتكلم وإذاعة ما يتعلمه.

هكذا بدأ خلق الإنسان، وتطوَّر حتى صار إنسانا، وهكذا يمضي في تطوره قُدُما. وتلفت الآية الكريمة أنظارنا إلى حقيقة أن الصلصال قابل للتشكل، فإذا خلا من الماء تصلب وصار هشًّا قابلا للكسر.. فإذا نزل عليه الماء أمكن إعادة تشكيله. وهكذا الإنسان وهو في طريق تطوره معرَّضٌ للضلال والسقوط، ولابد له من ماء السماء الروحاني (الوحي) ليعيد إليه القدرة على اكتساب شكل سويٍّ جديد. نعم، إن معاول الشهوات وأحداث الحياة وصروفَها تعمل على تحطيمه، ولكن ماء السماء – أي الوحي– يعيده إلى منهج الله إنسانا سويا.

ولم يكتسب الإنسان تلك الصفات بين عشية وضُحاها، وإنما قطع المراحل من الماء والتراب إلى الطين، ثم الحمأ المسنون، ثم الصلصال حتى صار بشرا سويا.. في أحقاب طويلة. وفي الخطوات الأخيرة من هذه المسيرة التطورية كان أسلاف الإنسان –أي البشر البدائي– كائنات أشبه بالوحوش الأوابد، يسكنون الغاباتِ وكهوف الجبال، وتحكم تصرفاتِهم الغرائزُ الحيوانية البدائية: غريزة الحفاظ على الذات وغريزة الحفاظ على النوع. وكانوا يتعاملون مع بعضهم ومع غيرهم



من منطلق تلك الغرائز، فكان القتل والسلب والعدوان والإفساد في الأرض نشاطا يوميا عاديا. وكان هذا الكائن البشري البدائي سريع الانفعال، شديد الاستجابة لغرائزه، يغلب على طبعه التأجج والثوران. كان كشعلة من نار السموم، يندفع اندفاع الرياح الساخنة. **كما كان مخلوقا نافرا، لا يأنس إلى غيره ولا يأتنس به غيره.. يميل إلى العزلة ليأمن شر أعدائه، ويتربص بفرائسه.. كان جانًّا.**

وكانت عملية التسوية الإلهية في البشر تفعل فعلها يوما بعد يوم، وجيلا بعد جيل. وكانت خاصيتا التعلم والتأقلم في البشر أمضى أسلحته في هذا المسار، تُعيناه على التقدم والارتقاء. ثم نمت فيه روح الجماعة، وبرزت ملكاته العظيمة الكامنة.. حتى بلغت ذروتها في الاستعداد لوحي السماء. وهكذا تأذَّن الله الخالق البارئ المصوِّر أن يخرج إلى الوجود سيد المخلوقات.. ذلك هو (الإنسان)، الكائن الاجتماعي، الودود الأنيس، الذي قُدِّر له أن يصعد سلَّم الرقي قُدما.. ويتعلم عن الله مباشرة، ويتأهل ليكون خليفةً على الأرض. واستحق بذلك أن تسجد له الملائكة سجود تأييد وتكريم وخضوع معه لأمر الله تعالى من أجل تحقيق الهدف من خلقه. وهكذا جاء آدم عليه السلام ليكون الحلقة الأولى من سلسلة مباركة جليلة الشأن من الترقيات البشرية في جميع المجالات.. ماديا وفكريا وروحانيا. **ولقد اختتمت السلسلة ووصلت ذروة جمالها وكمالها في شخص "آدم الأعظم" والإنسان الأكمل.. رسول الإسلام وحامل القرآن سيدنا محمد المصطفى ﷺ.**

إن آيات سورة (الحجر) تشير إلى الطبيعة التقدمية في البشر، وتحكي لنا عن المراحل الأولى لنشأته، ومرحلة ما قبل الخلافة وتلقِّي الوحي.. وهي التي وُصف فيها البشر بأنه (جان)، والتي صوَّرها القرآن في سورة البقرة على هيئة حوار على لسان الملائكة.. في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً. قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ..﴾ (البقرة: ٣١)

فهذه هي المرحلة المبكرة من حياة البشر، عندما كانوا وحوشًا في سلوكهم، يعيشون في صراع واقتتال على الطعام والجنس. ويعيشون حياة النفور والاختفاء من بعضهم ومن أعدائهم وفرائسهم. ولكن الملائكة تعكس الأسماء الحسنى والصفات القدسية على الكون، وتملأه بالحمد والتقديس لرب العرش العظيم.

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣١)

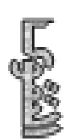
نعم، ليس هناك أية غرابة في ذلك. فإن الخلاق العليم قد أودع في هذا البشر- الذي يسفك الدماء ويفسد في الأرض- من القدرات والملكات ما يؤهله لاستقبال الوحي السماوي، ويستحق الخلافة والطاعة والتكريم.

ولقد عبَّر عن ذلك قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٠)

فعملية التسوية الإلهية هذه -وهي التقويم والتعديل والتكميل- تشمل التسوية الجسدية ثم التسوية الروحية، التي تصل إلى ذروتها بشرف الكلام مع الله تعالى، وتلقي الوحي الإلهي الذي يرفع الكائن البشرى من رتبة (الجان) إلى مقام (الإنسان).. وكأنه وُهب روحاً جديدة تؤهّله لمهام الخلافة، إذ لا بد للخليفة من أن يحمل قبسا من نور من استخلفه، ومسّةً من عطره، ورونقا من صبغته. ولا يتأتّى ذلك إلا لمن عرف الأسماء الحسنى، واكتسب منها في نفسه ما يستطيع أن يُشعَّه على من حوله. وعملية النفخ في قوله تعالى: ﴿ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر: ٣٠)

تعني دفع التعليم الإلهي في فكره وقلبه ليعرف ربه ومنهج ربه. ويتأكد هذا



المعنى من قوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا. مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ، وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا.. ﴾ (الشورى:٥٣)

فالروح هو الوحي القرآني الذي ينفخ في نفس المؤمن قوًى جديدة. وأيضا يتضح المعنى من قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا.. ﴾ (البقرة:٣٢)

وليست ثمة أسماء جديرة بالتعلم بحيث يرتقي بها الإنسان فوق مستوى الملائكة الكرام إلا (الأسماء الحسنى).

وما يتشدق به البعض في تفسير قوله تعالى أن الله علم آدم الأسماء، فيحصرون هذا التعليم ويُقصرونه على أسماء الأشياء، فهو قول متهافت. فالإنسان البدائي في كل مكان على الأرض يتحدث بلغة خاصة، ويطلق الأسماء على المسميات التي وقعت تحت حسِّه، ومن ثم وجدت على الأرض عشرات اللغات، فهل علم الله آدم كل تلك اللغات ليعلمها لأبنائه من بعده. وإذا كان الأبناء يستطيعون تسمية جميع الأشياء، فلماذا لا يستطيع آدم؟

وتعليم الأسماء الحسنى بمعنى ترديدها وحسب لا يكفي وحده.. وإنما المراد تعلم مدلولاتها، والعمل بحسب هداها، والسير في أنوارها، والتشبه بالمتصف بها -جل وعلا. فهذا هو العلم الذي يُكسب آدم تلك الكرامة التي تؤهله لخلافة الله تعالى. ولا بد للخليفة من أن يحمل في نفسه قبسا من نور من استخلفه.

" ولقد بين لنا سيدنا الإمام المهدي أن الله أخبره أن اللغة العربية هي أم اللغات. تعلمها سيدنا آدم عن الله تعالى، وتحقق له بتعلمها لسان يكفل له ولجماعته ونسلهم الحياة الاجتماعية والتقدم الروحاني. "

فمجرد تعلم الأسماء لا يميز الإنسان على الملائكة الذين هم جند الله المشرفون على الكون ويعرف كل منهم ما اختص به من أسماء مكوناته. ويدل تعلم الأسماء على أمرين: الأول هو تعلم لغة تستوعب الأسماء كلها، وتكون وسيلة فعالة في ارتقاء الإنسان اجتماعيا وثقافيا. والثاني أن يتعلم الإنسان أسماء خاصة.. بفهمها والاتصاف بها ترتفع مكانة الإنسان.

ولقد بيّن لنا سيدنا الإمام المهدي أن الله أخبره أن اللغة العربية هي أمُّ اللغات. تعلمها سيدنا آدم عن الله تعالى، وتحقق له بتعلمها لسان يكفل له ولجماعته ونسلهم الحياة الاجتماعية والتقدم الروحاني. وأثبتت الدراسات التي قام بها بعض أتباع سيدنا المهدي وجود آثار واضحة تدل على أن اللغة العربية موجودة في لغات البشر.

ومجمل القول: إن الله تعالى زوَّد خليفته آدم بملَكات وقدرات أهّلته للرقي الروحي، ثم تفضل عليه بكلامه، وجعل منه الخليفة الأول والنبي الرسول الأول. أصبح سكان الأرض وقتئذ بمنزلة أبنائه الذين كلِّف برعايتهم وأُمِروا بالدخول في طاعته. وكان على الملائكة بحكم وظيفتهم أن يكونوا أول مُعين له في مهمته النبوية. فالملائكة خلق من جند الله تعالى، من وظائفهم نصرةُ أنبيائه، وخدمة رسالتهم. ولكن بعض البشر كانوا – وما زالوا – على نفورهم من الحدود والآداب مستسلمين لغرائزهم. كانوا – وما زالوا – (جانًّا) ينفرون ويفرون من التمدن والتحضر والاستئناس.. يرفضون الخضوع للقوانين، والارتباط بالمواثيق، والالتزام بالعهود، ويتمردون على التقاليد الجديدة، ويتمسكون بما ألِفوه من تقاليد وعادات وأعراف. وبزعامة كبيرهم "إبليس" الذي أعلن العصيان والرفض، وأبدى الكبر والغطرسة.. عزموا على المناهضة والوقوف في وجه المنهج الإلهي. ولذلك صدر القرار الإلهي في مواجهة العصيان والتمرد.. بأن يبوء



المتمرد باللعنة والسقوط إلى الحضيض، والحرمان من الرحمة والمحبة والنور الإلهي. وحذّر الله آدم وجماعتَه من عدوه وعصابته، وأمره ألاّ يختلطوا بهم أو أن يطمئنوا إليهم.. لأنهم يضمرون الشر والغدر.

ومضت الأيام.. فأنْسَتْ آدمَ صرامةَ التحذير الإلهي. ولعله حسِب أنه بوسعه توصيل دعوته الإصلاحية إلى جماعة إبليس. وهكذا أوقعه ظنُّه هذا في مخالفة غير مقصودة. وكان الظنُّ شيطانا أنساه الحذر. ولقد أعرب القرآن عن حُسن نوايا آدم في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَى ءَادَمَ مِن قَبْلُ.. فَنَسِيَ.. وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه:١١٦)

نعم، إن آدم لم يكن عازما على مخالفة التحذير، وإنما كان ناسيا تحت تأثير رغبته الشديدة في أن يؤدي مهمته، ولعله ظن العداوة قد فَتَرت، والتمرد قد زال. وإذن فقد اختلط آدم بقوم إبليس وتعايش معهم وأكل من زادهم تعبيرا عن حسن النية، أي (أكل من شجرتهم)، فاستطاع قوم إبليس أن يتحسسوا مواطن الضعف في جماعته، فكشفوا ثغوره، واطلعوا على مكامن الوهن، فكأنهم عرّوه (وكشفوا سوءاته)، وبذلك تمكن أعداؤه من مهاجمته وإجلائه وقومه عن جنتهم الغنية بالثمار والماء والخيرات. وحاول آدم أن يدفع المهاجمين من الأعداء بشباب قومه الذين هم بمثابة (ورق الجنة)، ولكن لم يكف ورق الجنة لستر العورة بعد أن أخِذوا على غِرة.

ومنذ ذلك الزمن.. والصراع قائم بين بني البشر، فمنهم أهل الحق والخير والسلام والمودة.. من أمثال آدم وسلسلته، ومنهم أهل الباطل والشهوات والكبر والشر.. من أمثال إبليس وجنوده. وواقعة النسيان والطرد من الجنة ما انفكت تتكرر عبر القرون، إلى أن جاء نبي الإسلام لهداية الجنس البشرى بأجمعه، وها هو كتابه المجيد يحذر أمته من الوقوع في شراك الشيطان، والغفلة عن الدرع الواقي من طعناته.. إنه يوصينا بلباس التقوى الذي يستر المؤمن ويغطي منافذ الشيطان فلا يجد إليهم سبيلا. هذا، وكل من نَهج منهج إبليس فهو إبليس مثله، وكل من تزعم فريقه إلى الشر فهو إبليس. وكل خاطر ينسى الحذر شيطان، وكل موسوس بالشر شيطان كذلك.

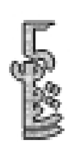
وجدير بالملاحظة أن قصة آدم (عليه السلام) مع إبليس تتكرر في القرآن الكريم مرات عديدة، وفي كل مرة جاء فيها ذكر من رفض الدخول في طاعة (آدم) سماه القرآن (إبليس)، والذي حرّض آدم وأوقعه في النسيان سماه القرآن (شيطانا). وهذا دليل كاف على أن إبليس شيء والشيطان شيء آخر.. ولكل منهما موقفه ودوره الذي يختلف عن دور الآخر وموقفه. ولكن هذا لا يمنع من أن يطلق على أمثال (إبليس) وصف (شيطان) باعتباره محرضا على الشر وزعيما للشياطين.

سورة الإسراء

فإذا واصلنا التلاوة إلى سورة (الإسراء) حيث يقول الله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ. قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا * وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلا * إِلا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ، إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا * قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾ (الإسراء:٨٦-٩٠)

يتضح من الآيات الكريمة أنها تتحدث عن القرآن المجيد، فتجيب من يتساءل عن مصدره بأنه من عند الله تعالى، وأنه لا دخل لأحد غير الله به.. فهو من أمر الله مصدرا ونزولا وحفظا، وأنه نعمة جليلة، بل هو أعظم نعمة على البشرية. إن علم البشر محدود،



ولا سبيل لارتقائهم في المجال الروحي إلا بهداية السماء وما يتنزل من وحيها، ولو أنهم حُرموا منه ما استطاعوا أن يجدوا بديلا عنه ليرسم لهم منهج الحياة الذي يحقق لهم الهدف من وجودهم، ويوجههم إلى سعادة الدنيا والآخرة. إنه من عند العليم الخبير، ولا يمكن أن يأتي العالم كله.. إنسه وجنّه.. بمثله أبدا.. ولو تضافرت علومهم وجهودهم. ومع أن هذه حقيقة بيّنة لكل ذي لُب، إلا أن أكثرهم للأسف ينفرون ويصدون.

لنتأمل قوله تعالى: ﴿صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ وقوله: ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾. فالقرآن وحي الله إلى النبي ﷺ.. موجه إلى الناس.. جميع الناس بلا استثناء.. بصِنْفَيْهم أي الإنس والجن. ويؤكد ذلك أن التحدي جاء موجهًا للفريقين.. أي لجميع المخاطبين به، ليبين لهم جميعا أنه لو اجتمعت جهود الإنس على كثرتهم.. والجن على قدراتهم وتفوقهم.. لا ينجحون في الإتيان بمثل القرآن منهجا إلى الله تعالى، يحقق سعادة الدنيا والآخرة. ويلاحظ أن ذكر الإنس جاء لأول مرة قبل الجن، ذلك لأن جماعة المشعوذين أوهموا الناس أنهم يستعينون بقوًى خفية وأرواح مستترة تُسِرَّ إليهم بأسرار الغيب والعلوم. فجاء التحدي للإنس ومن يدعون بأنهم أعوان لهم من الجن.

والآية بوجه عام توجه التحدي البليغ إلى كل الناس: عامتهم وخاصتهم، جمهورهم وصفوتهم، شعوبهم وقادتهم.. أن يأتوا بمثل هذا القرآن معنًى ومبنى.. مصدرا وأثرا.. صدقا وشرفا. (يُتبع)

الصبر والحسد

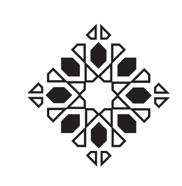
إصْبِرْ على كيد الحسود	فإن صبرَكَ قاتِلُهْ
كالنار تأكل بعضها	إنْ لم تجد ما تأكُلُهْ

هل تعلم أن الضحك يؤثر في الجهاز التنفسي، ويحرك العضلات ويزيد في كمية الهواء الداخلة إلى الرئتين، وهكذا يزداد الأوكسيجين في الدم ثم يتخذ طريقه إلى المخ فيساعد على أداء وظائفه ونشاطاته بشكل أفضل. فلماذا لا نحاول أن نسعد بحياتنا القصيرة التي نعيشها كلما تمكنّا من ذلك؟



الجن.. في القرآن الكريم

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



* رئيس تحرير «التقوى» السابق

ســورة الكهف

وفي سورة (الكهف) قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ.. كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ. أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي.. وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ؟ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا!!﴾ (الكهف:٥١)

بعد أن تناولت السورة موضوع أهل الكهف كمثال طيب للفتية المؤمنين الذين آثروا حياة الكهوف والعزلة على الكفر والمتع الدنيوية، ثم ضربت مثل صاحب الجنتين واغتراره بما أوتي من مال وولد، وذكرت مثل الحياة الدنيا، وبيّنت مدى حقارتها كهدف يجري خلفه عبّاد المادة، وأشادت بقيمة العمل الصالح الذي يبقى أثره.. حذّرت أمة محمد ﷺ من الانقياد إلى دعاة المادية، والاغترار بالمتع الدنيوية.. وما فيها من جاه أو سلطان. ثم استطردت تذكرهم بإبليس وموقفه من آدم (عليه السلام).. إذ رفض الإذعان لأمر الله تعالى واتباع الهدي الإلهي الذي جاء آدم.

هذا المغرور المتكبر، المحرض على الشر، الرافض لتعاليم السماء، المثل السيء لكل عاصٍ من بعده، والأسوةُ القبيحة لكل ضالٍ، هل يليق بعاقل أن يتخذ منهجه ومسلكه ومن سار على طريقته من الأبالسة اللاحقين- بديلا لمنهج الله؟ إنه أعلن عداوته للحق والخير والهدى، فهو عدو لكل فضيلة، مخرب لكل صلاح.. فمنذا الذي يتخذ من عدوه صديقا، ويترك خالقه ورازقه ومحبَّ الخير له؟ إن من يفعل ذلك لهو أحمق ظالم لنفسه حقا.. إذ يشترى الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة، والشقاء بالنعيم!!

إن منهج الله عز وجل يراد به سعادة البشر في حياتهم الدنيا وفي الآخرة.. أما مناهج زعماء الكفر والإلحاد والمادية والفوضوية والنفعية والاستغلال، ومستغلي الشعوب ومضلليهم، ومصاصي دماء العامة ومستعبديهم، فبضاعتهم مُنتنة، لا تورثهم جميعا إلا الهلاك والخلود في التعاسة والشقاء. إن صلاح الدنيا وسلامها لا يمكن أن يتحقق بالموالاة لهؤلاء الأبالسة، الذين لا يعنيهم من الأمر كله إلا شهواتهم المادية، ومراكزهم



الدنيوية، التي تخوّل لهم السلطان والتسلط والشهرة، وتسيير دفة الأمور وتقدم الصفوف ولفت الأنظار. ومن ورائهم أهل النفاق من آكلي الفضلات والرمم.. يتملقونهم وينفخون في باطلهم بين الناس، ويحصلون بذلك على شيء من الفتات. أما ما يصيب الناس بعد ذلك فلا يعنيهم أبدا. إنهم لا يرفعون شعارا إلا لتخدير العامة وتضليلهم، ولا يسُنون قانونا ولا يسلطون أجهزة أعلامهم وزبانية شرطتهم.. إلا حفاظا على مصالحهم، ودعما لهيبتهم، ومسايرة لأهوائهم وشهواتهم. ولا يدخلون حربا إلا إرضاء لغرورهم، أو طمعا في إغتصاب ما بيد غيرهم، أو كسبا لمواقف سياسية كاذبة.

كيف لعاقل أن ينسى ما فعله إبليس «الزعيم الأول».. مع آدم «النبي الأول»؟ إن الآية الكريمة تنبه الناس ليعرفوا الفرق بين إبليس وآدم. إن آدم وخلفاءه مرايا للكمالات الإلهية. وإبليس وذريته تماثيل وأصنام الغطرسة والكبر، واستعراض القوة والسلطة، والتضليل بكاذب من الوعود وباطل من الأماني ذات الرنين المدوّي.. والمضمون الأجوف الفارغ من الصدق والخير!! ما أتعس ذلك الذي لا يفرق بين الأبالسة في ثيابهم الثمينة، وكلماتهم المعسولة المسمومة.. وبين أهل السماء في تواضعهم وصدقهم، وفي تقواهم وطهرهم، وفي ترفعهم عن الماديات والدنايا، وفي زهدهم في طلب السلطان والعلو في الأرض، وفي تمسكهم الفعلي بمنهج الله، وفي قدوتهم الطيبة لما يدعون إليه من خير.

ويلاحظ هنا أن القرآن وصف إتباع المنهج الإبليسى بأنهم (ذريته).. لأنه قائدهم الأول، فهو منهم بمنزلة الوالد وهم الأبناء.. وذلك مماثلا لوصف الناس بأنهم بنو آدم باعتباره معلمهم وإمامهم الأول إلى الهدى والخير.. وأنهم مكلفون بإتباعه وطاعة منهجه، فهو كوالدهم وهم بنوه.

وقوله تعالى ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ يعني تكليف الملائكة بالعمل في خدمة الرسالة التي يقوم بها آدم.. فهو سجود تكريم وتبجيل وتأييد. وصدور الأمر للملائكة هو الخطوة التنفيذية الأولى في للمشروع الذي قدّره الله في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.. ولابد أن يتضمن بعث آدم ودخول الجميع في نطاق التكليف بطاعته، لأن هذا هو الأصل والمراد. ويتضح ذلك من قوله ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ وهذا يعنى أن إبليس ومن هو منهم قد صدر لهم الأمر الإلهى بالطاعة عن طريق الدعوة النبوية من آدم.

كما يُفهم أيضا من قوله تعالى ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ أي اسجدوا لله مع آدم أو لأجله. فاللام تفيد السببية أو المعية، فتكون اسجدوا بسبب مهمة آدم، أو إقرارا بأنه مستحق للخلافة.. أي نفذوا أوامر الله المتعلقة بمهمة آدم، وأعينوه في مهمته.. مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾ (غافر:٥٢) فالسجود هو لله تعالى مع آدم أو لأجله.

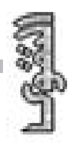
كما أن الآية تميز بين صنفين من البشر، صنف أسمى من الملائكة، أطاعوا أمْر الله فأمَر الله الملائكة بالسجود معهم تأييدا ومؤازرة من أجل ازدهارهم وفلاحهم. وهؤلاء هم آدم وبنوه. وصنف ثان سقط حتى صار أحط من الإنعام، فرفضوا طاعة الله في حين أن الملائكة القائمة على الأسباب قد أطاعوا جميعا وأدوا واجبهم. هؤلاء هم إبليس وذريته.

سورة النمل

وفي سورة (النمل) يقول الله تعالى: **﴿ وَأَلْقِ عصَاكَ. فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ. يَا مُوسَى لا تَخَفْ، إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾** (النمل:١١)

كعادة الأنبياء.. مر موسى (عليه السلام) بعديد من التجارب الروحية، ذكر القرآن بعضها. وهي من الوحي الذي يكلم الله به المصطفين من عباده. وفي هذه التجربة رأى موسى في الكشف - أثناء رحلة العودة مع أهله من سيناء - أن هناك نارا، فلما جاءها ناداه الله تبارك وتعالى وأمره أن يذهب إلى فرعون لإنقاذ قومه بني إسرائيل من نير فرعون واضطهاده لهم. ووهب الله سيدنا موسى آيات تؤيده في مهمته، وفي نفس الوقت تدله على كيفية القيام بها. وكانت عصا موسى واحدة من هذه الآيات، تعينه على إثبات صدقه.

وما يراه الرائي في الكشف هو من الأمور التي تحتاج أحيانا إلى تأويل وتفسير. وبيان هذا الكشف بحسب تأويل الرؤى كما



يلي: النار تأويلها (المحبة الإلهية) وحرارتها، ففيها الدفء والهداية، تشعهما في كل اتجاه، فتبارك مَن فيها ومَن حولها. أما العصا فهي (قوم موسى) أي بنو إسرائيل. والجان –وهو الحية الصغيرة السريعة – ترمز ل(عدو). ويبين الكشف أن موسى مكلَّف بالعودة إلى قومه بني إسرائيل، لأنه إذا تركهم استمروا في فسادهم وحياتهم الشريرة، وظلوا أعداء لأنفسهم. ولكن إذا أخذهم وضمهم إلى رعايته انقلبوا عصا مباركة فيها النفع والخير، وليس من ورائها أذى. ومحبة الله تعالى سوف تشمل الجميع.. تبث فيهم دفء الحياة الصالحة، وتجعل منهم جماعة متآلفة متآزرة من الأتقياء الصالحين.

غير أن ما يعنينا في هذا البحث هو ما جاء في الآية الكريمة وصفا لعصا موسى التي ألقاها فإذا هي ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، وفي آية أخرى ذكر الله تعالى أن موسى ألقى العصا ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه:٢١)، فإطلاق اسم الجان على الحيّات والثعابين التي تتميز بالاختفاء عن الأنظار.. يدل على أن الكلمة لا تطلق على الأرواح الشريرة فقط كما يتصور بعض الناس.. وإنما تطلق أيضا على الثعابين والحيات وغيرها من الدواب والحشرات المشابهة في اختفائها.

وبعد ذلك جاء في السورة نفسها – سورة النمل – قول الله تعالى:

﴿ **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾ (النمل:١٨)

وتشير الآية إلى بعض النعم الإلهية التي تَفضل الله بها على سليمان (عليه السلام)، إذ آتاه الله مُلكا كبيرا بمعيار زمانه، يقوم على حمايته جيش عظيم. كان جيشا منظما، جمع فيه كل القوى المتاحة له. فكان فيه فرَقٌ من المقاتلين الأشداء من قبائل الجبال المشهود لهم بالصلابة والبأس والمهارة القتالية العالية وهم (الجن)، وفرَقٌ من قوات المشاة العادية وهم (الإنس). وفرَقٌ من القوات ذات الحركة السريعة من الفرسان، أو من رجال المخابرات الذين يتراسلون ويتواصلون عن طريق الحمام الزاجل أو غيره.. وهم (الطير). ويمكن أن يكون (الجن) هم المقاتلون الخبراء في التمويه والتخفي، وذوي المهارات الخاصة في الإنشاءات، أو بلغة عصرنا «سلاح المهندسين»، وجسم الجيش من المشاة والفرسان. ثم السلاح الخاص من ذوى المؤهلات العليا في الفكر والعلم أو المستشارين – بلغة العصر– وهم (الطير).

وإذا ربطنا بين هذه الآية وما جاء في سورة الأنبياء في موضوع مماثل:

﴿ **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ** * .... * **وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ**﴾ (الأنبياء: ٨٠–٨٣)

يتبين لنا أن الجبال والطير كانت مسخرة مع داود والد سليمان (عليهما السلام). والتسخير هو الإجبار والإذلال، أو الاستخدام بأجر أو بغير أجر. ولا مجال للجمع بين داود.. الإنسان الملك النبي، وبين الجبال الجامدة والطير والأعجم.. والآية في معرض الحديث عما آتاه الله داود وسليمان من الحُكم والعلم ﴿وَكُلاً ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء:٨٠). وليس في تسبيح الجبال والطير ما يُقوي ويساند حكم داود أو يزيد علمه. ومثل هذا الأمر لا يكون تكريما يُذكر في مجال الحديث عن النعم التي يتمناها المسلمون ويعملون على اكتسابها. إن هذا المعنى يجعل من داود راهبا أو «درويشا» يعيش في الجبال بين الوحش والطير.. ممسكا بمسبحة يتمتم بكلمات التسبيح الله تعالى، فتردد الجبال والطير تسبيحاته؛ هذا على فرض أنها تفهم قولَه، أو أن لها لغة يفهمها داود. المهم أن داود لو كان يفعل هذا ما نجح في أن يكون مَلكا قويا ذا حكم وسلطان.. يشتغل بسياسة ملكه العظيم، ويُبلغ رسالته كنبي معلِّم لقومه، وهُم أوْلى بوقته من الجبال والطير.

الواقع إن تسبيح الله تعالى لا يصدر إلا من كائن مُدرك مُريد. والإنسان وحده هو المسبِّح الحقيقي لله تبارك وتعالى. أما إذا نُسب التسبيح لغير الإنسان.. فإنما يكون بمعنى الخضوع لله تعالى، كما يعني تسخير هذه الكائنات كي تُعين الإنسان وتحمله على التسبيح. فالملائكة الكرام يسبحون الله.. لأنهم جنده المنفذون لأمره، وما يقومون به يعكس في الكون كمالات الله تعالى، فيدركها الإنسان العاقل فيسبح الله. وتسبح الجبال وغيرها من الكائنات بمعنى أنها تكشف للإنسان

ذي البصيرة كمالات خالقها وربوبيته الحقة، فيهتف مسبحا بحمده شاكرًا لأنعمه. فقول الله تعالى:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء:٤٥)

يعني أن الإنسان إذا كان من أولي الألباب ونظر في خلق الله كله لتبين له بكل وضوح أن خالق هذه الكائنات إله كامل المحاسن منزه عن كل النقائص. ويتضح هذا من قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ..﴾ (آل عمران:١٩٢)

والمراد بالجبال التي تسبح مع داود عليه السلام هم أهل الجبال، أي القبائل الجبلية المعروفة بشدة المراس، والتي تمكّن داود من إخضاعها والسيطرة عليها تحت حكومته بفضل الله تعالى ونصره. ومثاله قول الله في سورة يوسف:

﴿وَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا..﴾ (يوسف:٨٣)

أي اسأل أهل القرية وأهل القافلة. هذه القبائل الجبلية خضعت لداود عليه السلام، وسارت وراءه توطيدًا لحكمه، وعملاً لنشر تسبيح الله، والعمل بشريعته تعالى في دولة بني إسرائيل الأولى.

والطير هم علية القوم.. الخاصة من العلماء والمفكرون وأهل التقوى والصلاح الذين أعانوا داود على تسيير دفة الحكم، وتوطيد المنهج الإلهي في ربوع دولته. وبذلك كانت دولة بني إسرائيل في عهد الملك النبي داود (عليه السلام) دولة صالحة، يتردد في جنباتها تسبيح الله تعالى وشكره على نعمتي الملك والنبوة.. وما يترتب عليهما من نعم أخرى جزيلة.

هذا، ويخبرنا القرآن الكريم أن الكون بسمائه وأرضه وجباله وبحاره وطيره ووحشه وأنعامه.. كله مسخر للإنسان إلى يومنا هذا وأن بوسعه أن يجعله وسيلة لتسبيح الله تعالى إذا ما أحسن استخدامه في خدمة إخوانه في الإنسانية، وإذا أقام به حكومة الله في الأرض. فالتسخير لم يكن خاصا بداود وحده وإنما هو نعمة عامة للإنسان عبر الدهور. قال - عز من قائل:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية: ١٤)

والمراد بالشياطين الذين يغوصون ويعملون أعمالا أخري.. العمال المهرة وأهل الحرف، كالنجارين والبنائين والحدادين. فالشياطين تشمل الغواصين المهرة من أهل الخليج العربي الذين كانوا يغوصون لطلب اللؤلؤ والمرجان. وقد شرحت آيات سورة (ص) عملهم في قوله تعالى:

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ (ص:٣٨)

فالشيطنة هنا تعني الخروج على المألوف، أي المهارة الزائدة في الحرف والفنون. ولقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

"والمراد بالجبال التي تسبح مع داود عليه السلام هم أهل الجبال، أي القبائل الجبلية المعروفة بشدة المراس، والتي تمكّن داود من إخضاعها والسيطرة عليها تحت حكومته بفضل الله تعالى ونصره."

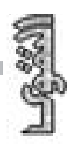
«الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب» (سنن أبي داود). وهذا يعني أن البعد عن المألوف والشذوذ شيطنة. كذلك من الشيطنة أيضا: العصيان والخروج على النظام، وهذا ما أشير إليه في قوله تعالى، تكملة للآية السابقة:

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (ص: ٣٩)

وهؤلاء هم المتمردون على حكم سليمان، الذين مكّنه الله تعالى من قهرهم وسجن زعمائهم، والسيطرة عليهم وإدخالهم في خدمة مملكته.

وقد روي عن ابن عباس وعن ابن مسعود ومجاهد (رضي الله عنهم) أن الشياطين هم زعماء الفتنة، أي زعماء الثورات والانقلابات والاضطرابات والخروج على النظام. وكلمة «الشياطين» بمعنى زعماء الفتن وردت أيضا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ (البقرة).

ومجمل القول أن داود (عليه السلام) وجد المعاونة في أداء مهمته النبوية كداعية إلى عمارة الأرض وتسبيح الله تعالى..



ممن جعلهم الله في خدمته من القادة والعلماء والصلحاء ومهرة الصناع. وقد اتسع ملكه وتوطد حتى استخدم الطير في نقل البريد والربط بين أجزاء دولته. ولقد أقام له العمال المهرة من المنشآت ما يُظهر عظمة مُلكه.. وبالتالي عظمة الله الذي بعثه نبيا وجعله ملكا.. مما يكشف للناس سبوحية الله وقدوسيته.

ولقد ورث سليمان أباه داود (عليهما السلام) في الملك، وجعله الله نبيا. وازدهر ملك بني إسرائيل ازدهارا عظيما في عهده، وكانت جنوده كثيرة العدد والعدة مرهوبة الجانب، موزعة على أسلحة متخصصة، منها سلاح المهندسين والإنشاءات وهم الجن، وسلاح المشاة وهم الإنس، وسلاح المخابرات والمستشارين والفرسان وهم الطير.

ويتضح اهتمام سليمان بالفرسان من قوله الله تعالى:

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ. فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي. حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ. فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ.. ﴾ (ص:٣٣)

فهو يهتم باستعراض الخيل الأصيلة وفحصها، ويُعرب عن حبه لها حب الخير.. لأنها من أسلحة إعلاء كلمة الله وذكره. وعندما تختفي عن نظره يستعيدها ويكشف عن رفقه بها وسعة درايته بتعليمها.

أما اهتمامه بتدريب الطير واستخدامها وتفهم عاداتها وقدراتها فيبدو من قوله تعالى على لسان سليمان:

﴿.. يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ..﴾ (النمل: ١٧)

فعلم منطق الطير أي لغته.. يعني أنه - بفضل الله- توفر لديه المختصون الذين يجيدون تدريب الطيور بحيث تفهم الطير ما يراد منها، وكأن رجاله والطير يعرفون لغة بعضهم البعض. ويمكن أيضا أن تكون الآية الكريمة إشارة إلى المستوى العلمي الرفيع، الذي توافر في شخصه وفي أهل العلم من رجاله. فالطير هنا قد تعني أيضا العلماء ذوى الفكر العالي والأدب الرفيع. أما علمه الغزير وتشجيعه لأهل العلم فيتبين من قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا..﴾ (النمل: ١٦)

وقوله:

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ. وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء:٨٠)

وأما اهتمامه بالإنشاءات والبناء والسفن وما إلى ذلك فيبدو جليا من الآيات العديدة التي تتحدث عن عمليات الغوص والبناء والقدور الكبيرة لإطعام الجيش العظيم، والسفن الضخمة التي كانت تمخر عباب البحار شهورا لتنقل تجارته الواسعة.

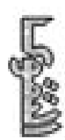
ويظهر اهتمامه بالمخابرات عن البلاد المجاورة لملكه من تفقده المنتظم لعيونه الذين بثهم في الخارج ليأتوه بالأخبار، والتقائه بهم في مواعيد محددة يسمع تقاريرهم، ومنهم «الهدهد»، الذي كان عينًا له في بلاد سبأ، ولعله سُمي بهذا الاسم الحركي لمقدرته الكبيرة على النبش وراء الأخبار والأسرار الدفينة.

وكان والده داود (عليه السلام) قد أخضع الأقاليم الجبلية المجاورة، وحشد أهل العلم والخبرة في خدمته، واستخدم الطير في المخابرات والمراسلات، كما يتبين من قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص:١٨)

وتتبين قوة جيش سليمان وهيبته مما قالته (النملة) تُحذِّر قومها - وهم قبيلة كانت تسكن واديا بين الجبال، سمي باسم وادي النمل، إما لكثرة مستعمرات النمل به، أو لأن القبيلة كانت كثيرة العدد، أو لأن القبيلة كانت تعرف باسم قبيلة النمل. وظاهرة تسمية الناس والقبائل بأسماء الحيوانات والحشرات هي شائعة مثل

" وتتبين قوة جيش سليمان وهيبته مما قالته (النملة) تحذر قومها - وهم قبيلة كانت تسكن واديا بين الجبال، سمي باسم وادي النمل، إما لكثرة مستعمرات النمل به، أو لأن القبيلة كانت كثيرة العدد، أو لأن القبيلة كانت تعرف باسم قبيلة النمل. وظاهرة تسمية الناس والقبائل بأسماء الحيوانات والحشرات هي شائعة مثل أسماء: أسامة وحيدر، وهما اسمان للأسد، وأبو ذر (الذر: النمل)، وبني كلب وغيرهم.... "



أسماء: أسامة وحيدر، وهما اسمان للأسد، وأبو ذر (الذر: النمل)، وبني كلب وغيرهم. فحذرتهم المرأة الخبيرة من التعرض لجيشه أثناء مروره بواديهم حتى لا يقضى عليهم دون جهد كبير.

ولا أحسب أن عاقلا يتصور أن حشرة النمل تستطيع أن تتعرف على الجيوش وقادتها وقوتها. أو أن النمل يصدر منه صوت أثناء اتصال أفرادها مع بعضها البعض، أو أن سيدنا سليمان يسمع هذه الأصوات ويدرك معانيها.. فليس هناك أي إشارة في القرآن تدل ذلك. كما أنها ليست معجزة لسليمان لأنه لم يشهدها أحد معه فتكون دليلا على صدقه مثلا. والناس يجوبون المناطق التي يسكنها النمل ولم يشهد أحد هروب النمل إلى بيوتها عندما يطأ الناس مناطقها. كما أن حديث النملة يدل على أنها عاقلة تخاطب جماعة العقلاء، كما يبين قوله تعالى:

﴿ **قَالَتْ نَمْلَةٌ يَآ أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ (النمل:١٩)

فواو الجماعة في ﴿ادْخُلُوا﴾ والضمير في ﴿مَسَاكِنَكُمْ﴾ و ﴿لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ للعقلاء، بينما نجد أن الله تعالى عندما تحدث إلى جماعة النحل –وهي حشرة مثل النمل– خاطبها بصيغة التأنيث، دلالة على غير العاقل، فقال:

﴿ **اتَّخذي منَ الجبَال بُيُوتًا.. كُلي منْ كُلِّ الثَّمَرَات.. فَاسْلُكي سُبُلَ رَبِّك ذُلُلاً.. يَخْرُجُ منْ بُطُونهَا..**﴾ (النحل:٦٩)

كذلك فإن الأماكن التي تعيش فيها الحشرات والحيوانات والدواب، ومنها الإنسان، تسمى بيوتا، مثل بيوت النحل وبيت العنكبوت وغيرها، ولكن بيوت الإنسان هي التي تسمى «مساكن» لأن الله جعلها سكنا يسكن فيها الإنسان، كما في قوله تعالى:

﴿ **وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتكُمْ سَكَنًا**﴾ (النحل:٨١)

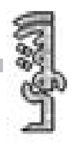
ولفظ ﴿مَسَاكنَكُمْ﴾ في الآية يدل على أن النمل كان قبيلة من البشر العقلاء وليس من الحشرات والهوام.

ولنتابع في هذه المناسبة بعض أحداث قصة سليمان (عليه السلام) لنحرر أفهامنا من بعض الخرافات التي دارت حولها. يحكي القرآن الكريم:

﴿ **قَالَ يَآ أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتيني بعَرْشهَا قَبْلَ أَن يَأْتُوني مُسْلمينَ* قَالَ عفْريتٌ منَ الْجنِّ: أَنَا ءَاتيكَ به قَبْلَ أَنْ تَقُومَ من مَّقَامكَ وَإِنِّي عَلَيْه لَقَويٌّ أَمينٌ* قَالَ الَّذي عندَهُ علْمٌ مِّنَ الْكتَاب: أَنَا ءَاتيكَ به قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ..**﴾ (النمل:٣٩–٤١)

تتحدث الآية عن ذلك العميل السري – أو ضابط المخابرات باصطلاح العصر– «الهدهد»، الذي اكتشف أخبار منطقة تسمى «سبأ»، ولعل أهلها كانوا من أهل اليمن الذين هاجروا إلى الشمال في تخوم فلسطين، وأطلقوا هذا الاسم على أرض مهجرهم كما هي عادة المهاجرين، وكانوا غافلون عن عبادة الله فكانوا يسجدون للشمس، وكانت ترأسهم وتسوس أمورهم سيدة. وكلف سيدنا سليمان هذا الضابط بالعودة إلى سبأ ليحمل رسالة منه إلى المرأة الحاكمة. وبعد تشاور وتحاور قررت المرأة أن تذهب مع وفد من رجال قومها لتزور سليمان فتصالحه وتهادنه. وعاد (الهدهد) إلى سليمان بالأخبار.

أراد سليمان أن يبين للملكة القادمة خطأ عبادة الشمس، وأن يبهرها بملكه العظيم، وما تحت يده من إمكانات هائلة، ليكون ذريعة لإقناعها بنبوته وما أوتيه من حكمة وهدى؛ ومن ثم هدايتها إلى الخالق الحقيقي الذي يستحق العبادة. ولتحقيق هذا الهدف طلب من خبرائه (الملأ) أن يصنعوا له عرشا يماثل عرشها الذي وصفه (الهدهد) بأنه عرش عظيم. فتقدم أحد المستشارين (من الجن)، وهو فنان ماهر (عفريت) واثق من مقدرته – فقال: أنا أصنعه لك قبل أن تغادر مقامك في هذه المنطقة.. ومن عادة الملوك أن تكون لهم مقامات (قصور أو استراحات ملكية بلغة العصر) في المواقع الهامة، يقضون فيها فترات تطول أو تقصر حسب مقتضيات الظروف. ولعل سليمان كان يتوقع وصول المرأة مع وفدها قبل ذلك بكثير، فلم يبد على وجهه علامة الموافقة. فتقدم مستشار آخر من أهل العلم والتخطيط، يجيد حسابات التشغيل وحشد مهرة العمال ﴿عندَهُ علْمٌ مِّنَ الْكتَاب﴾ وقال إنه يستطيع إنجاز المهمة قبل أن يعود رسول الملك من مهمته، وبذلك يكون العرش جاهزًا قبيل وصولها ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.. أي قبل أن يرجع إليك رسولك.



وتمضي الآيات بعد ذلك تسرد الأحداث.. فتمت صناعة العرش، وحمد سليمان ربه، وطلب من رجاله أن يجهزوا صرحا من الزجاج يُجْرون الماء من تحته. وجاءت المرأة، فشاهدت وأدركت بذكائها الرسالة الضمنية فيما أعده لها سليمان، فاقتنعت بوحدانية الله تعالى وأسلمت له، وآمنت برب سليمان.

أما الرسالة فقد كانت درسا عمليا ذكيا. عندما رأت المرأة الصرح ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ أي ظنته ماء جاريا فشمّرت عن ثوبها، ولكن سليمان أفهمها أن ما ترينه ليس الماء.. وإنما زجاج ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ يجري الماء من تحته. فأدركت المرأة الرسالة النبوية الذكية. لقد ضرب سليمان لها المثل الذي يوضح كيف أن الشمس التي تراها بحواسها المادية ليست هي الإله المعبود، ولكن الإله الحق هو الذي يُسيِّرها ويُسيِّر الكون كله معها. إنه إله لا تدركه الأبصار لأنه فوق المادة وفوق الأبصار. إنه موجود وإن كان لطيفا مستترا عن العيون. لقد رأت المرأة الماء ولم تر الزجاج لأنه شفاف لطيف، ولكنه موجود والماء يجرى من تحته. وهكذا فهمت المرأة، واطمأن قلبها، وأسرعت تُبدي ندمها على ما فرط منها من عبادة لمظاهر قدرة الله الخالق، وأعلنت بيعتها لسليمان على عبادة الله وحده.

﴿ **قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي. وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (النمل: ٤٥)

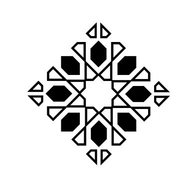
والمثل العملي الذي ضربه سليمان للمرأة لا يزال صالحا لتوجيه أنظار أولئك الذين لا يؤمنون بالله، زعمًا منهم أنهم لا يعترفون بوجود إلا بما يقع تحت حسِّهم. إنهم هم أنفسهم يعترفون بوجود الجُزَيْء والذرة والإلكترون والموجات اللامرئية والكهربائية وغيرها.. يعترفون بوجودها على أساس من دراسات آثار وجودها في معاملهم ومختبراتهم. وها هو الكون كله.. مختبر هائل ليُعملوا فيه عقولهم وعلومهم.. وفي وسعهم -إذا حرروا عقولهم من إسار التعصب والهوى- أن يروا يد القدرة الإلهية في ذرات الكون أو في عمالقة المجرات. إن من يتفكرون في خلق السماوات والأرض وما فيهن، وفي خلق أنفسهم وغيرهم من الكائنات.. ليرون الحكمة والعظمة والتنظيم والتدبير والرعاية والقوامة الكاملة.. التي لا تكون إلا لخالق واحد، ليس كمثله شيء، له الأسماء الحسنى، فتبارك الله أحسن الخالقين! **(يُتبع)**

عيد سعيد

عيد الأضحى المبارك هو عيد التضحية والفداء في سبيل الله. جعله الله عيد الخير والبركة على أمة المصطفى ﷺ، وكتب لحجاج بيت الله تعالى حجًّا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وعملا مقبولا، وأعادهم إلى ديارهم سالمين غانمين. بهذا العدد من «التقوى» نكون بفضل الله وعونه على وشك الانتهاء من إنجاز مجلدها الثالث عشر. وننتهز هذه المناسبة لنهنيء القاريء الكريم، ونهنيء أنفسنا بنعمة الخدمة الدينية، وتقديم أحسن ما نستطيعه لأمة سيدنا محمد ﷺ من تعاليم الإسلام التي أحياها وأعادها ملء الأسماع والأبصار.. حضرة الإمام المهدي عليه السلام، وسار عليها ورعاها خلفاؤه الكرام. نسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، وألا ينقطع عنا مدَدُ عونه وتأييده، وألا نُحرم أبدا من نظرة عطفه ومحبته، وأن يكتب للجماعة الإسلامية الأحمدية الفلاح والنجاح لتحقيق الأهداف التي من أجلها أقامها سبحانه.. ألا وهي جمع كلمة المسلمين تحت راية المصطفى ﷺ، وإحياء التوحيد الخالص والعبودية لله في قلوب الناس، والقضاء على سطوة الدجال ونفوذ الشيطان في نفوس العباد، وتحويل هذه الدنيا إلى جنة التسبيح بحمد رب العالمين!

الجن.. في القرآن الكريم

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



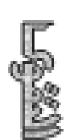
ســورة السجدة

وفي سورة السجدة يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا.. وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة: ١٤)

تناولت الآيات السابقة في هذه السورة ذكر مُنكري لقاء الله يوم الحساب، وموقفهم المخزي الذليل يومئذ، حيث يلتمسون الرَّجعة إلى الحياة الدنيا.. لعلهم يعملون صالحا، ويُكَفِّرون عما سلف منهم. ولنتركهم في أمانيهم الباطلة، ولنتدبر في هذه الآية ذلك الإعلان الدستوري العالمي العظيم، إعلان حقوق الإنسان في ناحية الفكر والضمير والعقيدة. يُعلنه الله من فوق سبع سماوات، ويستنه لنا رسول الإسلام ﷺ.

يقول الله جل ثناؤه: إني خلقت الإنسان حُرًّا مفكرا مختارا مريدا.. إن شاء آمن بي، وإن شاء كفر. إن شاء دخل في الإيمان وإن شاء عدل عنه. فلو كانت مشيئتي أن يكون البشر جميعا من المهتدين العاملين حسب منهجي.. لخلقتهم جميعا كذلك، ولفَطَرْتهم على الهدى وجبلتهم على الطاعة، ولكن كمال حكمتي اقتضى أن يكون من بين خلقي كائن حر مُريد، يختار محبتي ورضاي وطاعتي عن فهم مقامي وإدراك أسمائي الحسنى.. فيطمع في ثوابي ويهاب جلالي، ويطلب كمالاتي ويعشق جمالي. لذلك خلقت بشرا.. سويته بيدي وأكملته بروحي، وأطلقت له العنان في أرضي ورزقي. فإن هو اختار منهجي فبها ونعمت؛ حقق الهدف من خلقه وفاز برضاي ولأدخلنه جنتي. وإن هو اختار الكفر والفسوق والعصيان.. فبعزتي وجلالي لأدفعنه في جهنم وبئس القرار. الإنسان له مني

* رئيس تحرير «التقوى» السابق



حرية العقيدة.. أما الجزاء فهو حقي وحدي.. فأنا مالك يوم الدين، لا شريك لي في حساب خلقي.. أغفر لهم أو أعذبهم في الدنيا أو في الآخرة أو كيف ما شئت.. لا يملك الجزاء سواي. ومن ادّعى لنفسه حق مجازاة أحد على كفره أو عقيدته فقد نازعني مالكيتي وخالف إرادتي.

هذا ما يعلنه الدستور الإلهي في هذه الآية الكريمة وفي آيات أخرى عديدة تعلن الحرية الدينية حقًّا مقررا للإنسان. وهو حق يعترف ويتشدق به مسلمو آخر الزمان.. ولكنهم في الواقع لا يعملون به، إذ يدينون بالإرهاب الفكري والعقائدي. والويل لمن رماه قدره في أيديهم، فهُم خير من يفتي بقتل الكافر والمرتد والمخالف لهم في أفكارهم البالية وأفهامهم السقيمة. إن فتاوى التكفير تملأ كتبهم المسمومة.. يكفِّر بعضهم بعضا. ويكفِّرون مخالفيهم، ويُفتون بالقتل والرجم جزاء لمن حكموا بكفرهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقول الله في الآية الكريمة إن الجزاء بيده، ولن يفلتَ منه وجيهٌ لجاهه.. ولا حاكم لسلطانه.. ولا ثري لماله. كما أن التابع والمحكوم والضعيف والفقير لن يفلتوا من العقاب بسبب أوضاعهم الاجتماعية. فالمنهج الإلهي مسئولية الجميع، والكل حر في اتباعه، والكل مسؤول عن ذلك أمام صاحب المنهج وحده. والنعيم للجن والإنس، وجهنم للجنة والناس أجمعين.

والآن، لو أن الجنة صنف من الخلق غير البشر، فما مناسبة ذكرهم ههنا؟ إن الآيات السابقة تتحدث عن بدء خلق الإنسان، وتكاثره، ونفخ الروح فيه، وتزويده بأدوات الإدراك، ثم كُفرانه بنعم الله وإنكاره الحساب، ثم موته وبعثه وحسابه. فأين دور الجنِّ في كل هذا.. وسياق الحديث كله عن الإنسان؟

> **هذا ما يعلنه الدستور الإلهي في هذه الآية الكريمة وفي آيات أخرى عديدة تعلن الحرية الدينية حقا مقررا للإنسان. وهو حق يعترف ويتشدق به مسلمو آخر الزمان.. ولكنهم في الواقع لا يعملون به، إذ يدينون بالإرهاب الفكري والعقائدي...**

ثم تحدثت السورة عن المؤمنين وصفاتهم وجزائهم.. دون أن تتعرض لخلق يخالف البشر. وهل من المعقول أن تحشر الآية القرآنية ذكر الجنة هنا من غير سبب؟ الحق أن الجنة هم من البشر.. ولكنهم صنف متميز بموقعه الاجتماعي والسياسي.. مما قد يتوهمون به أن لهم امتيازًا في الآخرة، فلا يحاسَبون ولا يعاقَبون، كما ظن أولئك الذين قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، اعتمادا على فوقيتهم المزعومة على غيرهم من الناس، وظنا بأنهم شعب الله المختار الذي فضله الله على العالمين . والآية تؤكد على أن جهنم عقاب لهم قبل العامة من الناس العاديين.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الله تعالى -قبل ذلك ببضع آيات- تحدث عن خلق الإنسان ومراحل تطوره فقال عز من قائل:

﴿ الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْء خَلَقَهُ. وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَان منْ طين * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ منْ سُلاَلَة مِّن مَّآء مَّهين * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فيه من رُّوحه. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئدَةَ قَليلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة:٨-١٠)

وقبل أن ننظر في الآيات دعنا نتذكر قول الرسول ﷺ عن السعي بين الصفا والمروة: "نبدأ بما بدأ الله به". إن ترتيب الكلمات والآيات في القرآن الكريم ليس عشوائيا، وإنما هو تفصيل حكيم. ولن نجد في الآيات ما يدعو إلى تقديم أو تأخير كما قد يدَّعي بعض المتعالمين.

تعلن الآيات الكريمة أن خَلق الإنسان مرَّ بمراحل ثلاث: أولها الخلق من طين.. وثانيها التطور الجسدي حتى صار قادرا على التناسل شأن المخلوقات الحية كلها.. ثم ثالثها التطور الروحي.. أي المرور بعملية تسوية أهَّلته لتلقي "الروح" من خالقه. وهذا ترتيب كفيل بأن يوضح للقائلين بأن آدم قد صنع أولا



من كتلة طينية على الشكل البشري المعروف، ثم نفخ الله فيه الروح فدبّت فيه الحياة، وقام كائنا بشريا كاملا يعيش في الجنة ويتحدث مع الله.. أقول بأن هذا ترتيب جدير بأن يوضح لهم بأن مثل هذا القول هُراء باطل، منحول عن أهل الكتاب الذين أساءوا فهم كتابهم (التوراة).

إن ترتيب المراحل كما تسوقها الآيات جليٌّ بسيط، ويقرر أن التسوية ونفخ الروح كان المرحلة الأخيرة، بعد أن كان الإنسان بشرًا حيا يتكاثر بالتناسل، وقد اكتمل تكوينه الجسدي والعضوي، ومارس الحياة ونما، وبلغ النضج الكافي للتناسل عن طريق أجهزة جنسية متطورة. والمعنى البديهي –كما تقدمه الآيات– إن رحلة الخلق من الطين إلى اكتمال الإنسان خليفةً في الأرض مر بالمراحل التالية:

مرحلة التكوين الجسدي ابتداء من التراب والماء حتى صار كائنا حيًّا.

مرحلة التطور في التكوين الجسدي والعضوي حتى صار قادرا على التناسل مكتمل الأعضاء والأجهزة.. أي صار بشرا أقرب إلى الحيوان (جان).

٣. مرحلة التسوية النفسية باكتساب المهارات والخبرات واستخدام الأدوات، مصحوبة بتسوية فكرية روحية جعلت منه كائنا اجتماعيا ذا أحاسيس وعواطف وعلاقات. وقد اكتملت هذه المرحلة بأن كان بشرا سويا (إنسان) مؤهلا لأن يتلقى الوحي. وأول من تشرف من البشر بالرقي إلى هذه المرتبة الإنسانية هو (آدم).. فكان بذلك أول بشر إنسان، وأول نبي، وأول رسول إلى قومه.. فهو المعلم الرباني الأول، ومن ثم نُسب إليه الجنس كله. إنه الحلقة الأولى في السلسلة المباركة التي قادت الركب الإنساني في طريقه إلى الهدف من وجوده.. بمنهج الله تعالى.. وإلى محبة الله وعبادته.

وتنبه الآية الأخيرة أمة محمد ﷺ – إلى يومنا هذا – إلى أن الأدوات والملكات التي كانت لآدم عليه السلام وتوصَّل بها إلى نعمة التسوية ونفخ الروح الإلهي لا تزال لهم. إن حواس الإدراك المادي كالسمع والأبصار، وحواس الإدراك العقلي بالأفئدة، هبة إلهية للإنسان.. إذا أحسن استعمالها شاكرا لله أنعُمه، عارفا فضله.. لنال بركات السماء، وأخذ نصيبه من التسوية والروح، وحظي بالبشارة الملائكية، تقول الآية الكريمة:

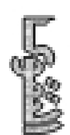
﴿.. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة:١٠)

سورة سبأ

وفي سورة سبأ يعدِّد القرآن بعض نعم الله على سليمان ومن قبله على أبيه داود (عليهما السلام) فيقول:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً، يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ، وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ، وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ، وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ، وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ، اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا، وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَآبَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (سبأ:١١–١٥)

تناولت هذه السورة موضوع العلم الإلهي الذي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة في السماوات أو في الأرض، وأشارت إلى أن بعض الناس يظنون أن ساعة حسابهم لن تأتي أبدا، وأن عقابهم على ما اقترفوا من شر غير وارد. فتلفت السورة أنظارهم إلى أن القوة والازدهار والرخاء لا يدوم لمن يفسد في الأرض، وأن نزول العذاب المهلك أقرب إلى المفسدين مما يتخيلون، وعليهم أن ينظروا فيما يدور حولهم من مظاهر قدرة الله في السماء والأرض.. ليرتد



إليهم نظرهم بالآيات البينات على قدرة الله الذي لا يعجزه شيء.

ثم ذكرت السورة ما وصلت إليه بعض الأمم السابقة من تقدم وازدهار.. ولكنهم عندما خالفوا منهج السماء تبدلت حالهم، وزال عنهم عزهم ورخاؤهم. وليس هذا القَصص من باب تسجيل أحداث التاريخ أو من قُبيل التسلية، بل هو بشارة ثم تحذير للمسلمين. يبشرهم بما قُدِّرَ لهم من العلو والازدهار، ويحذرهم من الوقوع فيما وقعت فيه الأقوام السابقة.. فيصيبهم ما أصابهم.

ومن هذه الأمم أمة بني إسرائيل، التي ملك عليها داود عليه السلام، وتوطد ملكه في منطقة فلسطين وما حولها. وأحاط به الأعوان من القادة والعلماء، وهم المشار إليهم بالجبال التي تُؤَوِّب معه. وكان من أوليائه ومستشاريه الأتقياء الصالحون، وهم المشار إليهم بالطير، يؤيدونه ويخدمون مهمته ويعملون معه على ما يصلح مُلكه النبوي، ويزيده بركة وخيرا.. فتتردد في جنباته أهازيج الحمد والتسبيح والتمجيد لله تعالى. وكان في خدمته أيضا مهرة الصناع وأهل الخبرة الفنية الذين برعوا في صناعة الأدوات الحديدية، وعلى وجه الخصوص تلك الدروع المتينة التي تستر الأجساد وتحمي المقاتلين، وكانت تُفَصَّل عليهم

"ثم ذكرت السورة ما وصلت إليه بعض الأمم السابقة من تقدم وازدهار.. ولكنهم عندما خالفوا منهج السماء تبدلت حالهم، وزال عنهم عزهم ورخاؤهم. وليس هذا القصص من باب تسجيل أحداث التاريخ أو من قبيل التسلية، بل هو بشارة ثم تحذير للمسلمين. يبشرهم بما قدر لهم من العلو والازدهار، ويحذرهم من الوقوع فيما وقعت فيه الأقوام السابقة.. فيصيبهم ما أصابهم."

بدقة كيلا تعوق حركتهم، وكان الجميع يؤدون واجباتهم مراعين في عملهم تقوى الله تعالى والإصلاح في الأرض.

وتولى الحكم في بني إسرائيل بعد داود الملك سليمان عليه السلام. وكان كأبيه صلاحا وعلما وحكمة. وازدهرت في أيامه مملكة بني إسرائيل أكثر من ذي قبل، ونمت التجارة بينهم وبين الدول المجاورة. وكان له أسطول كبير يجوب بحار المنطقة، من فلسطين إلى مصر وقبرص واليونان، ويقطع هذه المسافات الكبيرة لنقل التجارة وحمايتها في مدة شهر ذهابا وشهر عودةً، مستعينا بالرياح التي تدفع الأشرعة على فصول السنة شمالا أو جنوبا. وتقدمت في أيامه الصناعات المعدنية من حديدية ونحاسية، يستعملها العمال المهرة في مختلف الإنشاءات التي ترضي الله ولا تخالف منهجه. ولقد مكّن الله له في الأرض، وسيطر سيطرة كاملة على أهل الجبال، واستخدمهم في كثير من الأعمال التي تتطلب قوة الاحتمال والجلد على العمل، كما أنه أخضع البلاد المجاورة، واستحضر العمال المهرة منها ليعملوا في السخرة وهم في الأسر كما هو العرف المتبع في ذلك العصر، واستخدم هؤلاء في إنشاء معابد كبيرة، ذات أعمدة ضخمة مزدانة بنقوش جميلة.. منها معبد سليمان الشهير، وكانوا يصنعون له أواني للطهي بالغة الاتساع لتكفي الأعداد الكبيرة من العمال والجند.

ولقد سيطر سليمان على هذه الأعداد الغفيرة من الأتباع بحكمته وحزمه، وكان عقابه شديدا يردع كل من تُسَوِّل له نفسه العصيان والخروج على حكومته. وكان قدوة طيبة للجميع، يوصيهم بالمحافظة على نعم الله بحسن استعمالها والمداومة على شكرها. وأخبار التاريخ تكشف لنا عن أن الأمة الإسرائيلية بلغت في عهد والده داود وفي عهده أوج رقيها وقوتها، رغم محاولات التمرد من الأسرى (الشياطين المقرنين في الأصفاد)، ورغم الحركات السرية التي كان يقوم بها بعض اليهود



الحاقدين على سليمان والطامعين في الملك. ولما مات سيدنا سليمان عليه السلام خلفه ابنه "رحبعام". وكان -على عكس أبيه وجدّه- ضعيفا سيِّئ التصرف، فطمعت فيه القبائل وخرجت عليه، وتفاقمت حركات التمرد من الأسرى، وتكاثرت المؤامرات التي أضاعت هيبة الملك، فانقسمت الدولة وفقدت سطوتها وسلطانها. وكان هذا الابن من أبيه بمثابة الأرَضَة (حشرة السوس) التي تأكل صولجان الملك (منسأته)، وإذا ضعف المُلك فقد مات مؤسسه. إن سقوط سليمان لم يكن بسبب موته المادي.. وإنما بسبب ضعف ابنه الذي أضاع ميراث أبيه حتى خرجت قبائل الجبال من سلطانه، وأحسوا بموت سليمان.. وأدركوا غياب ذلك الملك القدير عن توجيه دفة الأمور، فتحرروا من طاعة رحبعام ومن العمل تحت يده. وتمنّى أهل الجبال الذين أخضعهم سليمان (الجن)، والأسرى الذين كانوا يعملون في السخرة (الشياطين المقرنين في الأصفاد) لو أنهم علموا ما يخفيه لهم المستقبل.. ما عاشوا سنوات طِوَالاً في حسرة.. يندبون حظهم لوقوعهم تحت سيطرة الحكم الإسرائيلي، ولخفف عنهم بعضَ هذا العذاب إحساسُهم بقرب الخلاص في عهد الابن الضعيف، كذلك لو كانوا يعلمون أن الابن سيكون بهذا الضعف، لثاروا عليه وخلصوا أنفسهم فور موت سليمان، ولما استمروا مدة من الوقت في عذاب الأسر المهين.

ولقد أطلقت الآية وصف (دابة الأرض) على من أضاع ملك أبيه، لأنه كالسوس أو الحشرات التي تنخر وتخرب الأخشاب وتفقدها صلابتها وصلاحيتها. وما أصدقه من وصف! لو أن الابن كان كأبيه لبقيَ ميراث بيت داود زمنا أطول، ولصدق قول القائل: من أنجب لم يمت.

ومن الأمم التي غفلت عن شكر نعم الله عليهم أهل "سبأ". كانت لهم وفرة في الثمار، بطيب المقام.. ولكنهم قابلوا النعمة بالجحود والركون إلى الترف والملذات، فسلب الله منهم ما لم يحفظوه، وانهار لهم «سد مأرب» الهائل.. الذي كان يحفظ لهم الماء للشرب والري، وتحولت جنتهم إلى أرض جدباء لا تنبت إلا الخبيث من الثمر.

إن الذين ساقهم الثراء والنعيم إلى الاغترار والركون إلى المتاع والتراخي عن الجهاد في الحياة.. أولئك نسوا منهج الله واتبعوا منهج إبليس. إن الذين يتنكبون عن طريق الأنبياء ويسلكون طرق الشهوات لا مهرب لهم من السقوط والدمار. إن نزعات الشر ودعوات الهدم والفساد لا سلطان لها على المؤمن التقي المرتدي لباس التقوى. ولكنها تنال من أولئك الذين يركنون إلى الشهوات ويتكالبون على حطامها. وفي المثلين القرآنيين السابقين بيّن لنا الله سببين أساسين لسقوط الأمم وزوال عزها ومجدها: أولهما- التراخي والتهاون والتسيُّب في الأخذ بالمنهج الإلهي؛ وثانيهما -الاغترار بما في اليد من نعم، والإعراض عن صونها بالشكر للمنعم والتمسك بحبله كي يحفظها عليهم. وفي ذلك تنبيه وتحذير لأمة المصطفى ﷺ حتى لا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل وسبأ. وليتهم.. ليتهم تنبهوا ووعوا الرسالة!!

وفي سورة (سبأ) أيضا جاء قول الله جل وعلا:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا: سُبْحَانَكَ! أَنتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ. بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ. أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ (سبأ: ٤١-٤٢)

فسَّر الرسول الأكرم ﷺ قول الله في اليهود:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللهِ﴾ (التوبة: ٣٢)

بأنهم حللوا وحرَّموا لهم على خلاف



ما جاء من الله فأطاعهم العامة واتبعوهم. فالطاعة الكاملة هي العبادة، ومن استجاب طاعةً فقد عبد من أطاعه.. ذلك بالطبع في الأمور الدينية التي لله فيها شرع وتوجيه واجب الطاعة قَبل توجيه وشرع كل من سواه.

أما الطاعة المطلقة والانقياد التام والاتباع الكامل.. فلا يكون إلا لله تعالى، من خلال طاعة أنبيائه، مصداقا لقوله سبحانه:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله﴾ (النساء: ٦٥)

ومثل هذه الطاعة تكون على بصيرة كما قال تعالى:

﴿ قُلْ هَذه سَبِيلِي. أَدْعُو إِلى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٩)

والملائكة جند الله تعالى، يتنزلون بوحيه ومنهجه إلى الناس. وهم أيضا الشهداء على خلقه الموكلين بهم. ومن تأثيراتهم أنهم يساعدون الذين يمدون أيديهم إلى الله.. يريدون هديه ويجدُّون في طلب مرضاته. ومن ثَم فهم لا بد وأن يُدلُوا بشهادتهم أمام ذي العرش العظيم.. يوم يجمع الله الملائكة والرسل والناس. وسوف يُسألون: هل أطاع هؤلاء المقصرون المفرطون في مسئولياتهم توجيهاتكم التي بعثتكم بها إليهم؟ هل سعوا إلى طلب هداي ومنهجي، ومدُّوا أيديهم يسألون عوني؟

وتجيب الملائكة الموكلة بهم. لا يا ربنا، إنهم ما أطاعونا وما استجابوا لتأثيرنا.. لأنهم كانوا مستسلمين تماما لغير ذلك. وما كانت بيننا وبينهم علاقات ولاية ومحبة.. بل كانوا ينفرون منا، وكنت أنت سبحانك ولينا من دونهم. إنهم لم يُتمّوا سلسلة الولاية التي تمت من الله إلى الملائكة ثم إلى الناس، ليتم الاتصال بين الأرض والملأ الأعلى. يا رب! إن هؤلاء كانوا أصنافا متعددة: منهم المترفون الفراعنة الذين استسلموا لشهوات باطنة خفية من حب السلطة والجاه والمنصب والملذات الدنيوية والمتع المادية، وكانت هذه المؤثرات تغطي عيونَهم وتُخفي عنهم نور الحق. إنهم كانوا يعبدون (الجن). ومنهم من عطلوا ملكاتهم وإرادتهم واستسلموا تماما لساداتهم من الحكام والقادة ورجال الدين، ولم يحاولوا من جانبهم أن يفكروا ويعقلوا، وساروا من ورائهم مغمضين خاضعين طائعين مستمرئين لوعات الدنيا. إنهم يا رب كانوا يعبدون (الجن). ومنهم الجهلة الذين كانوا يصدّقون المشعوذين والدجالين، فيزعمون لهم أنهم قادرون على جلب نفع أو دفع مضرة. إنهم كانوا يعبدون (الجن).

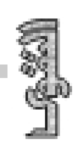
إن الانقياد لتأثيرات الخير الملائكية ليست من قبيل الاستسلام الأعمى.. بل هو من توافق الإرادة البشرية مع الفعل الملائكي، وهو ليس عبادةً للملائكة.. وإنما هو طاعة لله تعالى. ولذلك لا يوجَّه السؤال إلى الملائكة بشأن هذا النفر الكريم المؤمن من البشر، وإنما السؤال بخصوص عبدة الجن الغافلين عن الجذب الملائكي.

وخلاصة القول: إن الملائكة يشهدون بأن أهل النار قد سلكوا طريقا مخالفا للطريق الذي تعمل الملائكة في تمهيده ودعوة الناس إليه، وأنهم ساروا في طرق سادتهم، متبعين هواهم وشهواتهم.

من نوادر جحا

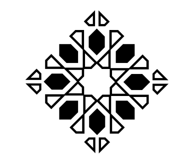
كان لجحا زوجتان فجاءتا إليه يوما وقالت إحداهن: أيًّا منا تحب أكثر؟ فحار جحا وأجاب: أنتما سواء في حُبي. فقالت الصغرى: لو غرقنا وكنت أنت على البر فأي واحدة منا تنقذ.

اضطرب جحا ثم نظر إلى زوجته القديمة قائلا: أظنك تعرفين السباحة !!



الجن.. في القرآن الكريم

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



ســورة الصافات

وفي سورة (الصافات) يقول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّة نَسَبًا. وَلَقَدْ عَلِمَت الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصفُونَ * إِلاَّ عِبَادَ الله الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات:١٥٩-١٦١)

إفتتحت السورة الكريمة بقَسَم يؤكد على أن الله تعالى إله واحد. والقسم استشهاد واستدلال على صدق القضية. فلو أن أحد أقسم قائلا: والله إني فعلت كذا.. فمعنى ذلك أنه يستشهد بالله ذي العلم والقدرة على أنه صادق فيما قال، ولو أنه كذب لعلم الله كذبه، وهو قادر على عقابه إذا حنث. ولا بد أن يكون السامع متفق مع الحالف في استشهاده هذا.. وإلا كان اليمين لغوًا لا قيمة له. والله تعالى عندما يُقسم فإنه يدلل للمخاطبين بالقرآن على صدق جواب القسم، ويكون ذلك بتقديم حقيقة كونية أو حدث مستقبلي سوف يقع.. ليكون دليلا يُقاس عليه للتعرف على صدق ما ورد في القسم.

وفي هذه السورة أقسم الله بالجماعة الإسلامية المحمدية الأولى وترابُطها القوي، ووقوفها في وجه أعداء الله، واستمساكها بالمنهج القرآني.. كدليل على وحدانية الله تعالى الذي تكونت هذه الجماعة بعونه، وتحت رعايته، وجاهدت باسمه.

وأشارت الآيات إلى أن المصطفى ﷺ وأصحابه وخلفاءه المجددين.. شهب كتلك التي تحمي السماء الدنيا من أن يخترقها أحد. إنهم شهب روحانية، يحمون سماء الوحي الإلهي من التحريف والتزوير.. بفعل الشياطين المتمردة على منهج الله..

* رئيس تحرير «التقوى» السابق



من المنافقين والكفار والمشعوذين والدجالين.

وأنذرت الآيات الكافرين من عذاب الله الأليم، ووجهت أنظارهم إلى ما جري للأمم السابقة التي رفضت أنبياءها، ووقفت في سبيل دعوتهم.. مثل أقوام نوح وإبراهيم وموسى وإلياس ويونس ولوط. وأخبرت السورة بما ينتظر الأمة الإسلامية من خير عظيم. واستنكرت السورة تقديس الأصنام والأوثان وقُوى الطبيعة، وتقديس البشر أو الملائكة على وجه الخصوص، وتستنكر القول بأن لهذه الكائنات صلةَ بُنُوة أو قرابة بالله تعالى. فهناك من زعم أنّ لله ولداً، أو أن الملائكة بنات الله!!

كيف تكون لهذه المخلوقات صلة نسب بالله تعالى، وهم جميعا يعلمون أنهم خاضعون لقهر الله وسلطانه؟ إن الملائكة جند الله المسخرون لأمره، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وقوى الطبيعة مخلوقات تسير وفقا لقَدره.. ولا تملك من أمرها شيئا. وقادة الضلال وسدنة الأوثان ومن على شاكلتهم من الزعماء الفاسدين والقادة المضلين ورجال الدين المنحرفين.. يعلمون جميعا أنهم خلق ضعيف عاجز أمام قدر الله وسُنته الجارية في مخلوقاته.. من حياة وموت ومرض وصحة وجوع وشبع.. وإن تظاهرت بغير ذلك فخداع وكذب، ولكنهم في حقيقة أمرهم وقرارة أنفسهم يعلمون ذلك. فالجن جميعا خلق الله – جل وعلا– وليس له صلة نسب عضوي بأحد من خلقه.

* * *

سورة فصلت

وفي سورة (فصلت)، وتسمى أيضا (حم السجدة)، قال تعالى:

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ. وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ * فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ اللهِ النَّارُ. لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: رَبَّنَآ أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلاَّنَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت:٢٦–٣٠)

تناولت السورة إعراض بعض الناس عن القرآن الكريم، وتغاضيهم عما يحمله لهم من تبشير ووعيد، وساقت بعض مظاهر قُدرة الله تعالى وخضوع الكون كله لمشيئته، وضربت أمثلة لأمم سابقة عارضت منهج الله فنزل بهم عقاب استأصل شأفتهم ونجى الله المؤمنين ونصرهم.

وكشفت الآيات عن السبب الرئيسي وراء فساد هؤلاء. فقالت إن أئمة الشر وجدوا لهم أصحابا شجعوهم على الفساد.. بالنفاق والمديح وتزيين الباطل، وسلَّموا لهم قيادهم، واكتفوا بالتصفيق والهتاف لهم. وقنعوا ببعض الفتات من مُتع الدنيا، فاستحقوا جميعا عقاب الله: الأئمة منهم والمقلدون.

ولقد سعى المفسدون من أعداء الإسلام أن يصرفوا الناس عن نبع الماء

" وأشارت الآيات إلى أن المصطفى ﷺ وأصحابه وخلفاءه المجددين.. شهب كتلك التي تحمي السماء الدنيا من أن يخترقها أحد. إنهم شهب روحانية، يحمون سماء الوحي الإلهي من التحريف والتزوير.. بفعل الشياطين المتمردة على منهج الله.. من المنافقين والكفار والمشعوذين والدجالين. "



الشافي من أمراض الكفر، النبع الذي يحمل لهم سر الحياة الأبدية السعيدة. أرادوا أن يصرفوا الناس عن كلام ربهم وهديه وتوجيهاته وتعليمه في كتابه المجيد وقرآنه العظيم.. فحرَّضوا شياطينهم وأذنابهم، وتواصوا فيما بينهم على إثارة الضجيج والضوضاء كلما تواجدوا في مجلس للقرآن الكريم.. حتى لا يدعوا فرصة للحاضرين أن يتدبروا معانيه. وهي فكرة شيطانية لا ريب.. دبرها القادة ونفذها الأتباع. ويوم الحساب يدفع الجميع حسابهم.. من خطَّط ومن نفّذ ومن ضلَّ بضلالهم. وتحت لهيب النار يود الضحايا لو كان كبار المدبرين (الجن) وأذنابهم من المنافقين (الإنس) تحت الأقدام تشفيًّا منهم وإذلالاً لهم.. جزاء وفاقا لجرائمهم.

وإذا رجعنا إلى أحداث التاريخ، وجدنا زعماء الكفر من أمثال أبي لهب وأقرانه من زعماء قريش (الجن).. كانوا يحرضون صعاليكهم (الإنس) ليسخروا ممن يقرأ القرآن. ويحولوا بينهم وبين من يريد الإنصات لهم.. إما بالتكذيب أو بالهزء أو بالتهديد والوعيد. ويوم (بدر) نزل عقاب الله بهم جميعا، فلم ينج منه صناديد قريش، ولم يسلم منه الأتباع والموالي. لقد هلك يومئذ جنُّهم وإنسهم. فقد لقي رؤوس الكفر مصارعهم مع الأذناب والأتباع.

ولنتذكر جيدًا أن السورة تعلن في آياتها الأولى لمن يخاطبهم القرآن: ﴿ قُلْ: إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ.. يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ..﴾ (فصلت:٧)

ولو كان الجن من خلق يختلف عن البشر لما صلح للنبي ﷺ أن يخاطب الجن ليقول لهم أنه بشر مثلكم.. إلا إذا كان الجن صنفا من البشر. وإذا اقتصر الخطاب على الإنس وحدهم فأين بلاغه للجن؟ وكيف يعرفون أنهم مكلفون بالاستماع إلى القرآن والعمل بما جاء فيه.. والخطاب لا يشملهم؟ وكيف يدخلون الإسلام.. وكتابه لا يخبرهم شيئا ولا يوجه إليهم حديثا.. اللهم إلا التهديد بالنار والوعيد بالعذاب؟!!

* * *

سورة الأحقاف

أما سورة (الأحقاف) فقد تحدثت عن الوحي القرآني، وفنّدت عبادة الأوثان، بناء على أن الإله الذي يستحق العبادة والطاعة والمحبة.. ينبغي أن يكون إلها خالقا رازقا قديرا عزيزا. أما الأصنام فهي جمادات لا يعترف بها عقل، ولا سند لها من كتاب سابق، ولا دليل عليها من تجربة إنسانية. إن المعبود الذي لا يملك إجابة دعاء، أو دفع بلاء، أو هداية ضال.. لا جدوى منه.

والوحي المحمدي ليس أمرا مبتدعا، فقد جاءت الرسل من قبل لكل الأقوام، ومنهم قوم موسى، وكان لهم كتاب مثيل للقرآن.. إماما ورحمة، وذكرت السورة ثواب الذين استقاموا على منهج الله، وعقاب الذين تنكروا لفضل الوالدين وأنكروا وعيد الله وحسابه.. فتقول:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ * وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا، وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (الأحقاف:١٩، ٢٠)

يقول بعض أدعياء العلم أو المتعالمين إن الجن حقا مكلَّفون بعبادة الله واتباع رسول الإسلام، وإنهم إذا أخفقوا في تحقيق المطلوب فجزاؤهم النار تماما كالبشر، ولكنهم إن أطاعوا وعبدوا الله وأصلحوا فيكفيهم من الأجر أن ينجوا من النار، ولا يدخلوا الجنة!!!

ما قدروا الله حق قدره.. إذ يتطاولون على عدله ورحمته، وينسبون إليه هذا الحيف والظلم المبين!! وها هي الآيات هنا تقرع آذانهم أنه (لكلٍّ درجات مما عملوا).. ومجرد النجاة من



العذاب ليست درجات؛ و﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾.. وليس من الوفاء مجرد النجاة من النار؛ و﴿هُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾. أو ليس من الظلم أن تُهدر أعمالهم ولا ينالون جزاء إلا مجرد النجاة من النار؟

إن الجن والإنس سواء في نيل الدرجات؛ سواء في توفيتهم أعمالهم؛ سواء في نصيبهم من عدالة الله ورحمته. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم نجد الدلائل البينة على أحقية الجن في النعيم وحسن الجزاء، كما أن لهم استحقاقهم من العقاب إن هم أجرموا.

وقصّت السورة أيضا ما جرى لبعض الأقوام من عقاب أليم نتيجة اغترارهم بقوتهم وعلمهم، فأهلكهم الله، ولم تنفعهم تلك النعم التي جحدوها، ولم تنقذهم آلهتهم الباطلة من الهلاك. وقصّت السورة أيضا مثلا من الأمم العاقلة الذين نفعتهم الذكرى، وتفهّموا آيات الله، واستجابوا للحق لما قرع آذانهم.

إنهم جماعة يعرفون الكتاب، ذوو خبرة بدين سماوي.. مرّوا ذات يوم بمكة، وسمعوا عن النبي القرشي.. محمد بن عبد الله الهاشمي، وبلغهم ما يُنزله به قومه من اضطهاد وأذى، وكيف يحولون بينه وبين الناس بكل سبيل، فأرادوا أن يلقوه ﷺ ويسمعوا منه، وتقابلوا معه خفية.. بعيدا عن أعين قريش، وسعوا إلى خارج مكة تحت ستار الظلام. وتلا عليهم النبي الكريم بصوته العذب الندي آيات من التنزيل السماوي.. من القرآن المجيد. وأنصت القوم بإجلال وأدب، وتلقّت قلوبهم الواعية كلام الله من فم نبيّه بما يستحق من التقدير، فأخذ بمجامع عقولهم، ونفذ من فوره إلى أفئدتهم، وعرفوا صدقَه وحقيقتَه ومصدره. ومضوا في طريقهم مجتنبين أهل مكة.. وقد وطدوا عزمهم على أمر ما.

تكشف لنا أقوالهم -كما أبلغنا العليم الخبير- أن القوم كانوا على معرفة بموسى وبالكتاب الذي أنزل عليه. ويرى بعض رجال التفسير أنهم كانوا من أهل نصيبين بالشام أو نينوى من العراق. وأنهم سمعوا بأن نبي آخر الزمان قد ظهر في مكة.. وأنه جاء برسالة السماء التي تحيي الموتى وتجدد السماء والأرض. ولا بأس بهذا القول، ولكن قلبي يحدثني بأن سياق السورة يتضمن نبأً غيبيا عظيما.. يمُنّ فيه الله على نبيه الكريم بذلك الفضل الكبير.

اسمعوا ماذا تقول السورة:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ. فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا: أَنصِتُوا. فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا: يَا قَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى، مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، يَهْدِي إِلى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِيَ الله وَءَامِنُوا بِهِ؛ يَغْفِرْ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ الله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءُ. أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ (الأحقاف: ٣٠-٣٣)

أي.. وتذكر يا محمد وقت أن سُقنا إليك نفرا. والتذكير هنا تنبيه إلى فضل الله وتوفيقه. والتنكير لكلمة "نفر" لتعظيم شأنهم.

ويتخلص النبأ القرآني في اقتناع ذلك النفر من الجن بصدق الرسول ﷺ، وأن رسالته سماوية المصدر، إلهية المضمون. وعزمهم الفعلي المؤثر على دعوة قومهم إلى ما آمنوا به. ويطمئن القلب- أشد الاطمئنان- إلى أن هذا النفر الكريم.. هم وفد "يثرب" الذين جاءوا مكة في موسم الحج.. وسمعوا من الرسول ﷺ، ووفقهم الله إلى أن يلتقوا به بعيدا عن عيون قريش، حتى لا يحتكوا بهم ويحدث بين الفريقين ما لا تحمد عقباه. وعاد هذا النفر النبيل إلى المدينة ليبشر أهلهم من الأوس والخزرج.. أن نبي آخر الزمان الذي طالما توعدهم به جيرانهم اليهود.. قد

ظهر في مكة في شخص النبي الهاشمي ﷺ.

وعاد النفر إلى مكة في موسم الحج التالي وقد تضاعف عددهم، وما هي إلا فترة وجيزة حتى أقاموا جماعة إسلامية في يثرب، ودَعوا الرسول ﷺ ليهاجر إليهم، ويفر بدينه من مشركي مكة.. الذين قطعوا على أنفسهم العهد أن يقتلوه، ويقفوا حجر عثرة في طريق دعوته.

إن هذا النفر الجليل.. هو الرعيل الأول من الأنصار، وهم الجناح الثاني مع المهاجرين.. الذين حلّق بهم الإسلام في أجواء العالم، وحملوا مسئولية نشر هدي السماء تحت قيادة المصطفى ﷺ. نعم إنهم النفر العظيم الذين سجل القرآن والتاريخ أمجادهم.. وفازوا برضى الله ومغفرته، ونَجوا ونجّوا قومهم من عذاب أليم.

وكان صَرْفُ الله لهم لسماع القرآن فألاً حسنا وبشارة طيبة للرسول الكريم.. تستحق الإشادة والذكر، وتستوجب الحمد لصاحب النعمة جل وعلا.

وبعد هذا توجّهت السورة إلى الرسول تطمئنه وتشد أزره.. فقالت: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.. وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ..﴾ (الأحقاف:٣٦)

وكلٌّ رسل الله بلا استثناء من أولى العزم، ودَعْك مما يقول به المساكين الذين لا يفقهون حكمة الله وسُننه.. فيزعمون أن فلانا وفلانا هم أولو العزم وسواهم ليس كذلك. الله أعلم حيث يجعل رسالته، وما اصطفى لهذه المهمة الشاقة إلا رجال صدق من أولي العزم. وهذا التوجيه الإلهي متكرر في القرآن المجيد ليربط على قلب المصطفى، ويطمئن فؤاده إلى ذكر الله وإن طال الانتظار لبعض الوقت. جاء في موضع آخر بعد ذكر ثمانية عشر رسولا.. آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة.. قول الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ..﴾ (الأنعام:٩١)

مع أنه ﷺ كان خيرتهم وخاتمهم.

وصبر الرسول ﷺ وجماعته صبرا جميلا. وصدق الله رسوله البشرى. فما هي إلا لحظات بمقياس التاريخ.. إلا وهلك أعداء الله، وقام العهد الجديد ينير الدنيا ويملؤها خيرا وسعادة وسلاما.

وأطلقت السورة وصف (الجن) على ذلك النفر – سواء كانوا من أهل يثرب أو من غيرها.. لسببين: الأول– أنهم استتروا من أهل مكة عند لقائهم بالنبي ﷺ، والثاني – لأنهم من الصفوة المختارة الذين يندر لقاء أمثالهم في زمنهم، بل وفي كل زمن.

إن هذا النفر الجليل.. هو الرعيل الأول من الأنصار، وهم الجناح الثاني مع المهاجرين.. الذين حلّق بهم الإسلام في أجواء العالم، وحملوا مسئولية نشر هدي السماء تحت قيادة المصطفى ﷺ. نعم إنهم النفر العظيم الذين سجل القرآن والتاريخ أمجادهم.. وفازوا برضى الله ومغفرته، ونَجوا ونجّوا قومهم من عذاب أليم

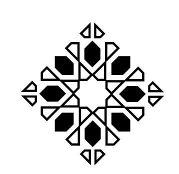
طبيب الأسنان في الميزان

مر أعرابي بمقهى وإذا به يرى طبيب أسنانه يتجاذب أطراف الحديث مع أصدقائه. فاتجه نحوهم بسرعة، وبعد أن ألقى السلام قال بصوت رقيق دافئ مشيرًا إلى طبيب الأسنان: أقسم بالله العلي العظيم أنني كلما أنظر إلى هذا الوجه أتذكر الله عز وجل، وتزداد في نفسي خشيتُه وتقواه، وتتهاطل دموعي كالمطر الغزير. تعجّبَ الأصدقاء من قوله هذا وسألوه: بالله عليك أخْبِرنا عن كرامات صاحبنا. فقال: لا كرامات ولا بطيخ.. بل إنني في كل زيارة أقوم بها إلى هذا الطبيب يذيقني طعمًا من جهنم !!!



الجن.. في القرآن الكريم

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



ســورة الرحمن

وإذا وصلت بنـا التـلاوة إلى سـورة (الرحمن)، وجدنا سورة قرآنية توجه حديثها كله إلى فريقين من المخاطبين. فبعد ذكر بعض النعم الربانية من خلق الإنسان، وتعليم القرآن والبيان، وذكر الشمس والقمر والنجم والشجر ورفْع السماء ووضْع الميزان، ثم جعْل الأرض للأنام، وذكر ما فيها من نخل وفاكهة وحب وريحان، تقول:

﴿.. فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّار * وَخَلَقَ الجَآنَّ من مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ * فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾ (الرحمن: ١٤-١٧)

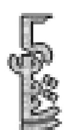
وبعد ذكر عدد آخر من النعم والآيات والحقائق المشهودة المعروفة لأهل الأرض.. وبعد كل آية تسأل الفريقين الذين يستمتعان وينتفعان ويشهدان كل تلكم النعم.. سؤال تقرير وتوجيه ولفت انتباه: فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ثم تتبع ذلك بتحد وتحذير، أو هو شحذ للهمم ولفت نظر لآفاق جديدة في الكون، فتقول:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلان * فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتَ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٢-٣٤)

وتشير الآيات بعد ذلك إلى عقاب المجرمين فتقول:

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَآنٌّ * فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ (الرحمن: ٤٠-٤٢)

* رئيس تحرير «التقوى» السابق



> " حين يذكر أن مخلوقا ما قد خلق من شيء معين.. يراد به أن المخلوق يحمل في طبائعه بعض خصائص هذا الشيئ الذي خلق منه. فالإنسان يحمل من الطين ليونته وبرودته وقابليته للتشكل والانقياد، وهذه طبائع عامة البشر. أما الجان فهم ذوو حمية وأنفة واندفاع ورغبة في القيادة والزعامة ولهم تميز عن غيرهم في نزعاتهم ومسلكهم، وهذه طبائع السادة والقادة. "

وتتحدث عن النعيم لمن خاف مقام ربه فتقول:

﴿ فيهنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ في الْخِيَام * فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَآنٌّ﴾ (الرحمن: ٧١-٧٥)

ولقد سبق أن تناولنا المراد من خلق الإنسان من صلصال والمراد من خلق الجان من نار.. ولا بأس من أن نوجز هنا فنقول: حين يُذكر أن مخلوقا ما قد خلق من شيء معين.. يراد به أن المخلوق يحمل في طبائعه بعض خصائص هذا الشيئ الذي خلق منه. فالإنسان يحمل من الطين ليونته وبرودته وقابليته للتشكل والانقياد، وهذه طبائع عامة البشر. أما الجان فهم ذوو حمية وأنفة واندفاع ورغبة في القيادة والزعامة ولهم تميز عن غيرهم في نزعاتهم ومسلكهم، وهذه طبائع السادة والقادة. ولو أن المراد كان غير ذلك.. فما دخل الجن أو الجان بكل تلك الماديات مثل الأشجار والفواكه، والسفن والبحار، والنجم والشجر، والميزان والنحاس، والفرش والحرير والنساء الجميلات؟ إن كل تلك الأمور تتعلق بالبشر وحدهم ولا دخل للجن بها إلا إذا كانوا بشرا مثلهم.. مع تباين في المقام أو الدور الاجتماعي وما إلى ذلك.

الواقع إن سورة (الرحمن) لهي من أعظم البراهين على أن القرآن عندما يتحدث عن الجن والإنس فإنما يتحدث عن وجهين لعملة واحدة. هي عملة البشر، أو فرعين لشجرة واحدة.. هي شجرة بني آدم.

ونلفت النظر هنا إلى أن (الثقلين) في السورة التي تحدث البشر في زمن التنزيل تكلمهم اليوم أيضا. فالثقلان هما قادة الكفار وعامتهم، أو هم الروم والفرس بعد ذلك.. وهم اليوم كتلة الشرق المادية الملحدة وكتلة الغرب المادية الصليبية. كما أن (الإنس والجان) في الحديث عن حور الجنة من النساء المؤمنات -فيراد بهما البشر عامة.. والأفكار النفسية الباطنية، بمعنى أن تلكم الحور لم يمسس ظهرهن البشر.. ولم يداخل نفوسهن أفكار أو ميول خفية مما قد ينال من صلاحهن وعفافهن.

ولا يفوتنا ملاحظة أن سورة (الرحمن) بدأت بذكر صفة الرحمانية التي تُذَكرنا برحمة الله التي تفيض على كل عباده من غير استحقاق من جانبهم، ولقد كان تعليم القرآن هو من أجَلّ فيوضات هذا الاسم الجليل. ثم ذكرت بعد ذلك خلق الإنسان وتعليمه البيان.. وفي ذلك إشارة جلية إلي أن الإنسان هو محل النعمة القرآنية، وأن الهدف الأسمى للقرآن هو أن يصل بالبشر إلى مرتبة الإنسانية الكاملة، التي تعرف ربها وخالقها وآلائه عليها.. ومن ثم تعبده العبادة التي تحقق الغرض من خلق الإنسان.

* * *

سورة الجن

وفي سورة (الجن) نجد أن الحديث يتناول جماعة من العقلاء، سمعوا بعض آيات من القرآن الحكيم.. ربما من شفتي الرسول ﷺ وربما من بعض صحابته الكرام. ولم يكن المصطفى ﷺ على علم بهذه الواقعة وما يترتب عليها من آثار حميدة في مستقبل انتشار



الإسلام. ولقد أوحى الله إليه خبرهم مبشرا له بإيمانهم وإسلامهم وعملهم على نشر الدعوة بين قومهم. وهؤلاء النفر غير النفر الذين حَكَت عنهم سورة (الاحقاف) آنفا. ذلك لأن أولئك كانوا يعرفون كتاب موسى عليه السلام أي التوراة ولم يذكروا شيئا عن عيسى عليه السلام وإنجيله. واليهود هم الذين لا يعترفون بالمسيح بن مريم وكتابه. ولو أنهم كانوا من النصارى لأشاروا إلي ذلك. أما النفر هنا فهم من النصارى لأنهم ذكروا معتقدا من المعتقدات الأساسية عند المسيحيين.. وهو البنوة لله تعالى. ويبدو أن بعضهم كان من رجال الكهنوت.. وهولاء هم أدرى الناس بما هم فيه من الضلال والتضليل وممارسات الدجل والشعوذة والتقول على الله والرجم بالغيب. ولقد عرف هؤلاء من آيات القرآن أن سوق الباطل والجرأة على السماء قد كسد، وأن محمدا ﷺ وصحبه.. وفي أيديهم ذلك الكتاب السماوي ينير لهم طريقهم ويهديهم سواء السبيل.. سوف يصدون كل عدوان عقائدي على وحدانية الله تعالى، ولن يبقى الميدان بعد خاليا أمام الدجل والباطل.

إن إيمان هذا النفر الكريم من النصارى يبث بلا ريب في نفس النبي ﷺ وصحابته الأبرار روح الأمل بما يقوي فيهم العزائم ويطمئنهم على مستقبل دينهم الحنيف.. الذي يبذلون كل غال رخيصا من أجل إذاعته في العالمين. ولا بد أن هؤلاء النفر قد أثمرت دعوتهم نورا في قلوب أقوامهم، فما أن وصلت طلائع المسلمين إلى بلادهم في الشام ومصر والعراق حتى بادروا يستقبلون الإسلام بالقبول والرضا والترحاب.. ولعل هذا النبأ العظيم كان وراء العناية النبوية ولفتته الكريمة.. إذ حث صحابته كي يستوصوا بالنصارى خيرا.

ونلاحظ في حديث الجن عن الإعجاز في الأرض والهرب والحطب والماء الغدق.. أنهم رجال من البشر، كل ما في الأمر أنهم لما سمعوا القرآن لم يتنبه لهم أحد.. كما أنهم كتموا أمرهم عن أهل مكة. وأراد القرآن أن يجعلهم بشارة مخبوءة للمسلمين.

* * *

سورة الناس

وفي الختام عند آخر سور القرآن.. سورة (الناس).. نستعيذ بالله برب النور الكاشف للمؤامرات والشرور.. أي مؤامرات أعداء الإسلام والمسلمين.. ومن شرور المتآمرين مدبري الشرور. ثم نستعيذ بالله برب الناس جميعا، ومالك أمرهم وزمامهم.. الجدير وحده بالتأليه والتوقير والمحبة والطاعة.. لكي يقي قارئ القرآن والعامل به والداعي إليه من شرور قد تتسرب إلى النفوس بتحريض فئة مضللة من الناس. والاستعاذة هنا ذات وجهين:

أولهما: أن الوسواس الخناس هو ذلك الذي يسعى للتسلل إلى النفوس جميعا.. سواء منها نفوس العامة أو الخاصة.. فقوله ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ يريد به أن موسوس الشر يسعى للتأثير في الخاصة المتميزين من البشر كما يعمل على تضليل عامة الناس.

وثانيهما: أن وسواس الشر نفسه صنفان: الفاسدون من الحكام والقادة الذين يوعزون بالشر إلى الناس، وصنف من شرار العامة والرعية. ويمكن أن يكون المعنى أيضا أن الوسواس يكون من العوامل الشريرة الخفية الباطنة (الجنة)، أو من فعل البشر عموما (الناس). والآية تستدر الحماية الربانية الملكية الإلهية ضد كل تلك المؤثرات، ومن سلم منها فقد فاز بالمنهج القرآني الذي أتم قراءته بالمعوذتين.

* * *

هذا هو كل ما جاء في القرآن الكريم بشأن الجن والجان والجنة. ويلاحظ أن الاستعمال القرآني يتسم بأسلوب معين، نجمله فيما يلي:

١- وصف (الجن) مُعرّفاً للدلالة على



الكبار الذين يلفتون الأنظار، بينما يتضاءل ويختفي غيرهم في وجودهم.. أي أنهم ساترون. وأيضا للدلالة على الخاصة والكبار لأنهم ينأون عن العامة ولا يختلطون بهم ولا يظهرون لهم عادة – أي أنهم مستترون. والكلمة تستعمل في مقابل (الإنس) وهم الأشخاص العاديون من العامة والرعية ورجل الشارع. ولا يميز الاستعمال القرآني بين الفريقين في الخلق أو الدين أو الهداية.. الخ. والفرق بينهما هو في المركز القيادي والمنزلة الاجتماعية للجن وتميزهم عن الإنس في ذلك الدور.

٢– وصف (الجان) مُعرّفًا للدلالة على البشر في بداية تطورهم قبل تسويتهم وتحضُّرهم، عندما كانوا يعيشون حياة الوحش النافر في الكهوف والمغارات مختفين من فرائسهم ومستترين من أعدائهم. والكلمة مستخدمة في مقابل (الإنسان) وهو البشر بعد تسويته وتحضره وتمدنه. وفي هذا الاستعمال

" كلما جاء ذكر الطائفتين معا قدم الجن على الإنس دلالة على تميزهم من ناحية القوة والسلطان والمهارة وكافة الأمور الدنيوية. أما إذا كان المجال روحانيا كان التقدم للإنس. "

يشير القرآن إلي خلق (الجان) من نار وخلق (الإنسان) من طين.

٣– كلمة (جان) منكرة للدلالة على المؤثرات الخفية الباطنة، في مقابل كلمة (إنس) منكرة للدلالة على التأثير البشرى المكشوف.

٤– وصف (الجِنة) معرفا للدلالة علي صنف معين من الكائنات الخفية أو المتوهمة. الخفية كالملائكة.. والمتوهمة كالأرباب الباطلة والآلهة التي تقوم عبادتها علي الوهم الكاذب. ومن أمثلة هذه الأرباب فسدة الكهنة وشرار السدنة والفراعنة والهامانات ورجال الكهنوت المرتزقة من كافة الديانات. وتستعمل الكلمة في مقابل (الناس) وهم أفراد المجتمع العاديون الذين غالبا ما يكونون ضحية ممارسات (الجِنة). ويلاحظ في الآيات التي تتناول هذه الفئة الفاسدة المفسدة أنها تنذرهم بالعقاب الإلهي وتشير إلى فسادهم.

٥– كلما جاء ذكر الطائفتين معا قُدم الجن على الإنس دلالة على تميزهم من ناحية القوة والسلطان والمهارة وكافة الأمور الدنيوية. أما إذا كان المجال روحانيا كان التقدم للإنس.

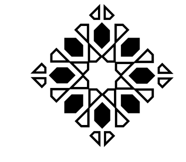
قنِعتُ بالقوت من زماني	وصُنتُ نفسي عن الهوانِ
خوفًا من الناس أن يقولوا	فُضِّل فلان على فلانِ
مَن كنت عن ماله غنيًّا	فلا أبالي إذا جفاني
ومن رآني بعين نقص	رأيتُه بالتي رآني
ومن رآني بعينِ تمٍّ	رأيتُه كاملَ المعاني

الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه



الجن.. في الأحاديث الشريفة

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



لننظر في الاستعمال النبوي لهذه الكلمات كما جاءت في الأحاديث النبوية، أو تلك المنسوبة إلى النبي ﷺ.

أُوْلى هذه الروايات ما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَهن أحد من الأنبياء قبلي.. " وذكر منها (.. وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثتُ إلى الناس عامة).

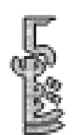
قال ابن عقيل: الجن داخلون في مسمى الناس لغةً. وقال الراغب: الناس جماعة حيوان ذي فكر ورَوية، والجن لهم فكر وروية. وقال الجوهري: الناس قد تكون من الإنس ومن الجن.

ومعنى قولهم هذا إن كلمة (الناس) علي إطلاقها تعني الجن والإنس.. ويقول إن الجن في الاستعمال القرآني صنف من الناس. وفي رواية أخرى لهذا الحديث: (بعثت إلي الأحمر والأسود) أي الإنس والجن. وفي رواية ثالثة: (أرسلت إلي الجن والإنس).

وقال الإمام ابن تيمية: أرسل الله محمدا ﷺ إلى جميع الثَقَلين: الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان بما جاء به وطاعته، وأن يحللوا ما أحل الله ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، ويحبوا ما أحب الله ورسوله، ويكرهوا ما كره الله ورسوله.

وإذا تأملنا في قول الإمام ابن تيمية تبين لنا أن تحليل ما أحل الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله، يقتضي أن تقوم الجن بكل ما كُلّف به الإنس.. ولا يتأتّى هذا إلا إذا كان الفريقان من جنس واحد هو الجنس البشري.. والفرق بينهما هو الوضع الاجتماعي أو الوظيفي. وإلا.. **فلماذا لم يخرج الجن المؤمن مع المسلمين للقتال**

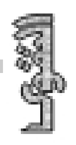
* رئيس تحرير «التقوى» السابق



والجهاد؟ وأين كان الجن المؤمن في غزوة أُحُد حين هزم المسلمون؟ أم أن القتال قد كُلِّف به البشر فقط؟!
ثم هناك الحديث الذي أورده البخاري عن أبي هريرة ﷺ:
(إن الشيطان قد عرض لي، فشد عليّ ليقطع الصلاةَ عليّ، فأمكنني الله تعالى منه فذعته. ولقد هممتُ أن أُوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان: ﴿وهَبْ لي مُلْكًا لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾، فردَّه الله خاسئًا).
وفي رواية أخرى: (إن عفريتًا من الجن جعل يخيل عليَّ البارحةَ ليقطع عليّ الصلاة، فرده الله خاسئا).
ومع أن هذا الحديث وارد في صحيح البخاري إلا أنه فيما أحسب يثير علامات استفهام محيرة. ولا مناص لصحته من أن يكون الذي تعرض له أحد شياطين البشر الذي لم يتعرف النبي على شخصيته لِتَخَفيه وتنكُّره، فسماه شيطانا أو عفريتا من الجن. وربما كان الأمر من قبيل الكشف رآه النبي فحكاه لبعض الصحابة. أما أن يكون المعترض كائنًا من الكائنات الأسطورية المزعومة فماذا يكون الجواب على ما يلي:
شيطان الرسول قد أسلم فلا يأمره بِشَرٍّ، فكيف يحاول إفساد صلاته؟

هل الشياطين والعفاريت تتعرض للبشر هكذا جهرة.. أم تتسلل وتوسوس؟ وهل كانت هذه الكائنات –حسب زعمهم– مما تُغَالَب بَدَنيًّا، وتُقَيَّدُ بالحبال، وتراها العيون البشرية؟
وهل دعوة سليمان تمنع النبي ﷺ من تأديب العفريت، أم كان هذا وقفًا على سليمان وحده؟ وهل من عمل النبي ﷺ أن يحفظ لسليمان دعوته بنفسه أم أن الله تعالى هو الذي لم يمكّنه من فعل ما اعتزمه؟ وألا يجب علينا بناء على ذلك أن نمتنع عن استخدام الريح والطير لأنها تدخل في دعوة سليمان وكانت فعلًا مسخَّرة له؟
ولابد من استبعاد هذا الفهم السخيف احترامًا لمكانة النبي ﷺ أولاً، ثم لأنه يخالف العقل والواقع وسُنن الحياة.
ثم هناك الحديث الذي أخرجه أبو نعيم عن ابن الحارث ويتلخص فيما يلي:
(خرج النبي ﷺ لحاجته، فأتاه راوى الحديث بماء للوضوء، فسمع عنده لَغَطًا، فسأله: يا رسول الله سمعت عندك خصومةَ رجال ولغطًا ما سمعت أحَدًّ من ألسنتهم! قال ﷺ: اختصم عندي الجن المسلمون والجن المشركون، سألوني أن أسكنهم، فأسكنت المسلمين الجلس "أي المرتفع الغليظ من الأرض"، وأسكنت المشركين الغور "أي المنحدر من الأرض").
ومثل هذا الحديث لا يصمد للعقل السليم. ففيم اختصام الجن والصحراءُ أمامهم تمتد واسعة مترامية الأطراف تسع الملايين منهم؟ وعلى أي أساس يحكم النبي ﷺ بينهم في مشكلة المسكن؟ هل يعرف متطلبات حياتهم وما يلزمهم للسكن؟ ولماذا يفضل فريقًا منهما على الآخر ولم يوزع بينهم الأرض بالتساوي؟ وهل يكون الاحتكام والحكم في مثل هذا الموضوع والظرف؟ وهل هم يتحدثون بأصوات ويحدثون لغطًا كالإنس، حيث يسمع الناس لغطهم؟ وهل يعني هذا أن الناس إذا لم يسمعوا لغط الجن فإنه لا يكون لهم وجود؟ وما الذي يُلزم المشركين منهم بقبول حكم النبي ﷺ؟ اللهم إن كل المواصفات التي وردت في الحديث

> "لا بد من استبعاد هذا الفهم السخيف احتراما لمكانة النبي ﷺ أولا، ثم لأنه يخالف العقل والواقع وسُنن الحياة."



تجعل منهم بشرا مثل كل البشر، ولكن الغرابة في تسميتهم بالجن دون ما سبب واضح!! ولماذا لم يبادر راوي الحديث بالدخول الى موضع اللغط ليستجلي الأمر ويدفع عن النبي إذا لزم الأمر؟! وهناك الحديث الذي رواه البيهقي عن ابن مسعود قال:

(استتبعني رسول الله ﷺ فقال: إن نفرًا من الجن خمسة عشر بني إخوة وبني عم.. يأتونني الليلة سأقرأ عليهم القرآن.. فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد. فخط لي خطًّا وأجلسني فقال: لا تخرج من هذا. فبِتُّ فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السَّحَر، في يده عظم حائل وروثة وحممة (خشب محترق) فقال: إذا ذهبت الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء. قال: فلما أصبحتُ علمتُ حيث كان رسول الله ﷺ، قال: فذهبتُ فرأيتُ موضعَ مبرَكِ ستين بعيرًا).

وهذا الحديث أيضا دليل على أن النفر الذين قابلوا النبي ﷺ من إحدى القبائل التي كانت مارة بمكة، وأرادوا لقاء النبي ﷺ بعيدا عن العيون التي كانت ترصد حركات النبي ﷺ وتحول بينه وبين الناس، فضربوا له موعدا في غسق الليل خارج شعاب مكة. واصطحب النبي ﷺ ابن مسعود رضي الله عنه ليراقب الطريق ويحذر الجمع إذا لزم الأمر. ومن المعلوم أن البشر وحدهم هم الذين يركبون الجمال المعروفة التي تترك آثار سيرها وبروكها في الأرض. ولو كان النفر من الجن حسب المفهوم الأسطوري ما ركبوا بعيرا، ولو كان لهم بعير لكان من الجن أيضا! ولما ترك أثر روث يُرَى على الارض. ولقد كنى النبي ﷺ عن النفر باسم الجن حتى لا يتعرف عليهم أحد، ولا يتسرب خبرهم عن طريق الخطأ إلى المشركين. ولقد صدق النبي ﷺ في اطلاق اسم الجن عليهم لأن القوم كانوا مستترين عن أنظار قريش بظلمة الليل. ولعل النبي ﷺ ذهب إلى الخلاء بعد اللقاء، وبحث عن احجار ليستنجى بها فوجد معها بعض العظم والروث والخشب المحترق، وهي أشياء لا تصلح لهذا الغرض، فوجدها فرصة لتعليم الصحابي حتى يتجنب استعمالها فتُلوّث بدنه بدلا من أن تزيل عنه الخبث.

ولقد أدى الخلط بين واقعة لقاء الجن وتعليم النبي ﷺ بشأن المواد التي لا تصلح للاستنجاء إلى خلط أشد فيما يتعلق بمسألة الجن فقد أورَد أبو داود حديثًا منسوبًا إلى عبد الله بن مسعود قال فيه:

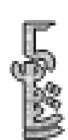
(قدم وفد الجن على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، انْهَ أمتك أن يستنجوا بعظم أو روث أو حممة، فإن الله جاعل لنا فيها رزقًا).

وفَهِمُوا من هذا القول.. أن الجن المكلفين بعبادة الله، المأمورين بذكره، يأكلون هذه الأشياء.. وهو لأمر مُغرق في الخرافة والسخف. أولاً لأنه طعام مادي لا يستقيم أن تأكله المخلوقات غير المادية وتبقى بعد ذلك مستترة. وثانيًا لأنه يشتمل على نجاسات ونفايات محرمة على المسلمين بحكم القرآن نفسه الذي يقول:

﴿**يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ**﴾ (الأعراف:١٥٨)

﴿**يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا من طَيِّبَات مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلهِ**﴾ (البقرة:١٧٣)

والجن يحرم عليهم ما يحرم على الإنس. فكيف يتطهر الجن ويتوضأ ويصلي وفي جوفه الروث والنفايات. وكيف يأمرهم الله أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، فيأكلون العظم الذى ترمم وروث البهائم الملوث بالنجاسات؟! ويمن الله على الجن ببعض نعمه من فاكهة وريحان ولحم وحب ورمان، وما إلى ذلك من الطيبات فهل يستبدلون به الروث؟ وما دخلُ النبي ﷺ بطعامهم وهم (كما تقول التفاسير الأسطورية) القادرون على الانتقال من اليمن إلى الشام يحملون عرش بلقيس في طرفة عين، ويصعدون إلى السماء



الدنيا ليتسمعوا على الملأ الأعلى.. هل يعجزون عن إحضار طعام لهم من أي مكان على الأرض حتى يطلبوا الطعام من النبي ﷺ.. وهم القادرون على الإتيان به من أقصى الأرض - حسب قول الذين يعتقدون بأن الجن خلق مختلف وخارق القدرة؟ أو ليس من الغريب أن يقضي المسلمون الأوائل ثلاث سنوات في حصار بمكة، يقاطعهم المشركون ويمنعون عنهم الطعام حتى جف اللبن في أثداء المؤمنات فلا يجدن ما يرضعن به أطفالهن.. ثم لا يمنحهم النبي ﷺ هذه التسهيلات الغذائية وهم في أشد الحاجة إليها، ثم يسارع إلى منحها لوفد الجن القادرين على التصرف بيسر؟ لو كان الأمر كذلك لكان الأطفال الرضع والعجائز أولى من الجن بذلك.

لا شك أن الرواة خلطوا بين واقعتين مختلفتين: الأولى لقاء النبي ﷺ بالقوم الذين سماهم الجن، والثانية هي توجيه النبي ﷺ للصحابي بتجنب استعمال الأشياء الملوثة والنجسة في الاستنجاء. ويبدو أن الواقعتين كانتا متقاربتين فرواهما الصحابي في مقالة واحدة، واختلط الأمر على من نقلهما وربط بينهما في هذا المزيج المتنافر. وقد أدى الأمر بعد ذلك إلى سوء فهم أو تحريف لأحاديث أخرى. فمثلا هناك روايات تقول:

"نهى رسول الله ﷺ عن التمسح بعظم أو بعر" (أحمد/مسلم/داود).

"سأل الجن رسول الله ﷺ الزاد، فقال: كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في يد أحدهم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعر علفٍ لدوابهم زادٌ" وفسره ابن سلام أن البعر يعود خضرًا (رواه مسلم).

وفي رواية أبي داود: ".. كل عظم لم يُذكر اسم الله عليه.."

"بينما أنا مع النبي ﷺ يمشي جاءت حية فقامت إلى جنبه، فأدنت فاها من أذنه كأنها تناجيه أو نحو هذا. فقال النبي ﷺ: نعم. فانصرفت. فلما سأله جابر أخبره أنه رجل من الجن وأنه قال: مُرْ أُمّتَك لا يستنجوا بالرَّوَث ولا بالرمة، فإن الله جعل لنا في ذلك رزقًا" رواه ابن العربى.

وعن ابن مسعود "قال ﷺ: أتاني داعي الجن، فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن.. قال: فانطلق بنا فأرنا آثارهم وآثار نيرانهم. وسألوه الزاد.. الخ الحديث" (رواه الشيخان).

فيلاحظ في تلك الروايات أن الجن الذين قرأ الرسول عليهم القرآن كانت لهم آثار بشرية عادية. أما موضوع الزاد فهو خلط بين النهي عن استعمال القاذورات النجسة في إزالة النجاسة وبين مقابلة الجن. كما أن الجن لو كان طعامهم حقًّا هو الروث.. فلن يضيرهم أن يزداد الروث بعض فضلات آدمية، وما نظن أن روث البهائم أنظف وأكثر فائدة للجن من فضلات الآدمي!!

أما عن الحية التي تطلب من الرسول أن ينهى أمته عن فعل شيء.. فما نعتقد أن النبي يتلقى التشريع من الحيات وغيرها! ولو أنه نهى عن شيء لكان ذلك بأمر إلهي.. حتى لا يتطاول سفيه ويقول إن نبيكم يُشَرِع لكم من همسات الأفاعي!!

أما حديث أبى داود، إذا صح عن النبي ﷺ، فيمكن أن يكون كشفًا له ﷺ رأى فيه تلك المخلوقات الخفية الضارة التي تؤذي الإنسان - والتي نعرفها اليوم باسم الميكروبات والفطريات والبكتريا - والتي تتغذى وتتنفس وتجد حياتها في تلك الرمم والنفايات، وحق له أن يسميها الجن بسبب استتارها عن أعين البشر. ونهى عن استعمال هذه الأشياء تجنبًا لضررها، وتطهرًا من دنسها. وفي مثل هذا الكشف الغيبي إعجاز عظيم لنبي الطهر والنقاء. وهناك شاهد لهذا المعنى في كشف ثان للنبي ﷺ قال فيه:



(الطاعون وَخْزُ أعدائكم من الجن) (رواه احمد في مسنده).
ولا شك أننا نعرف اليوم أن الطاعون يصيب الإنسان بوخز من حشرة البرغوث فتنتقل إلى جسمه جراثيم المرض. وكل هذه من الكائنات المستترة عن النظر الآدمي. أرأيتم عظمة الخبر النبوي وأنبائه الغيبية الرائعة!
وهناك الحديث الذي أورده البيهقي عن جابر بن عبد الله قال: "قرأ رسول الله ﷺ سورة (الرحمن) حتى ختمها ثم قال: ما لي أراكم سكوتًا؟ الجن كانوا أحسن منكم ردًا.. ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة - يعني: ﴿فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ - إلا قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد).
والحديث الشريف يبين أن النفر الذين استمعوا إلى النبي ﷺ يتلو سورة (الرحمن) كانوا ممن صفت نفوسهم وصدقت قلوبهم، فاعترفوا لله تعالى بكل نعمةَ منَّها عليهم في السورة. ولعل الأنسب عند سماع الاستفهام التقريري أن يعلن السامع إقراره بالحق. ولو تأملنا النعم التي وردت في سورة (الرحمن) لوجدنا أنها كلها نعم تتعلق بالبشر الذين يعيشون على الأرض حياة البشر المألوفة، وليس منها ما يخص قومًا من غير البشر المخلوقين من لحم وعظم.
وهناك رواية أخرجها الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يقرأ على الجن ولا رآهم، وانما لما حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرْسِلت عليهم الشهب، بحثوا في الأرض ليعرفوا السبب، حتى لقي جماعة منهم رسول الله ﷺ وهو يصلي بجماعة من أصحابه.
وهذه الرواية تفسير لآيات سورة (الجن) بحسب فهم ابن عباس أو بحسب ما اختار أنه المناسب لمن فسرها له. ويبدو أنه أراد بيان أن الرسول ﷺ لم يقابل ذلك الصنف من الكائنات التي كان العرب يسمونها جنًّا. ومع ذلك فليس كل ما ورد عن ابن عباس قاله ابن عباس، وليس كل ما نُسب إلى ابن عباس رضي الله عنه لابد وأن يكون حجة أو صوابًا. ثم إن الشهب سُنة كونية أزلية.

محطة ترفيهية

* إنك تبلغ مرتبة النضج الكامل عندما تضحك ضحكتَك الأولى ساخرًا من نفسك. (حكيم)
* تستطيع أن تحكم على المرء من خلال أسئلته أكثر مما تستطيع من إجاباته.
* كما نمسك عن الكلام في غير موضعه كذلك يجب أن نتجنب الصمت في غير موقعه.

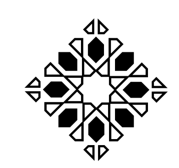
- الموظف: أريد زيادة في راتبي لأنني أقوم بعمل ثلاثة موظفين!!
المدير: إنني لا أستطيع أن أزيد في راتبك، ولكن إذا ذكرت لي إسمي الموظفَين فسوف أطردهما.
- وقف صاحب السفينة يخاطب بحّارتَها قائلا: أرجو أن تعتبروا هذه السفينة سفينتكم.. فقاطعه صوتُ بحارٍ من آخر المركب: من فضلك سلِّمْنا ورقةً بهذا حتى نستطيع بيعَها في الميناء القادم !!



الجن في الأحاديث النبوية الشريفة

(الحلقة الأخيرة)

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



لقد ساق كتاب (عجائب الجان) عددًا من الروايات، بعضها عن الجن وبعضها عن الشيطان وبعضها عن إبليس.. ولـم يُفرق بينها على أساس أن الجميع شيء واحد. ولقد سبق أن تناولنا هذه المسميات بالبيان بحيث ظهر لنا الفرق بينها. ومعظم الروايات التي ساقها مما ليس له سند يُعتد به، وسنحاول ذكر أهم هذه الروايات، ضاربين الصفح عن الهزليات التي لا يتردد عاقل في رفضها كروايات دينية، وكلها لا تصلح إلا على سبيل سرد العجائب للتسلية وإزجاء الوقت.

فمن الروايات ما أورده ابن مردويه، وضعّفه السيوطي:

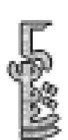
«خلق الله تعالى الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهوى، وصنف عليه الحساب والعقاب.وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم، وصنف أجسادهم أجساد بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله».

ومع أن السيوطى ضعَّف هذا الحديث إلا أنه في حقيقة الأمر من أصح وأبلغ ما قيل في تصنيف الجن والإنس. وربما كان فيه وحده الكفاية لفهم وإدراك موضوع هذه الرسالة. فلقد صنَّف الجن في ثلاثة أنواع:

١ـ دواب الأرض التى تعيش عادة في استتار داخلَ الشقوق والجحور، ولا تسعى إلا تحت جنح الظلام مثل الحشرات والعناكب والهوام.

٢ـ الكائنات الخفية التى تملأ الجو وتنتقل بفعل حركة الهواء، وتهوي على الناس فتصيبهم بشتى الأمراض والعلل، مثل

* رئيس تحرير «التقوى» السابق



> **"والقاعدة الذهبية - رضي أو أبى من شاء - إن القرآن الكريم.. كلام رب العالمين الذي تعهد بحفظه.. هو الحكم على الحديث والعكس غير صحيح أبدا."**

الميكروبات والجراثيم.

٣ـ كبراء الناس وقادتهم وخاصتهم، وهم بالطبع مكلفون ومحاسبون على أمانة القيادة ومسئولية الحكم.

وصنَّف الإنس في ثلاثة أنواع:

١ـ البشر البدائيون الذين لهم سمات البشر وطباع الأنعام والوحش.

٢ـ البشر الفاسقون الذين هم شياطين الإنس.

٣ـ البشر المؤمنون الصالحون المسلمون لمنهج الله.

وهذا التقسيم الرائع متفق والواقعَ، ولم نبتعد عنه كثيرا فيما تناولناه آنفا عند فهم الآيات القرآنية المتعلقة بالجن والإنس. ومن المناسب هنا أن نشير إلى ميزان هام في فهم الأحاديث النبوية والحكم على مدى صحتها. إن أعظم الموازين للحكم على الحديث هو مدى موافقته لآيات القرآن الكريم، ثم مدى موافقته لما نشهده من سنن الله الكونية. ولابد قبل تضعيف أو تكذيب حديث منسوب إلى النبي ﷺ من محاولة فهمه وتفسيره بما يتفق وما ذكر آنفا، فإن أمكن ذلك فلا معنى لتضعيف الحديث أو إنكاره. أما إذا لم يتيسر ذلك على وجه من أوجه التفسير الذي تحتمله اللغة العربية وأساليبها، جاز التوقف عن الأخذ به والعمل بمقتضاه.

ثم يأتي بعد ذلك الأخذ بالسند.. فكم من حديث صحيح السند لا يُقبلُ متنُه، وكم من حديث ضعيف السند صحيح المضمون. ويجوز أن يصدُق الكاذبُ أحيانًا، ويجوز أن يذكرَ الناسي في بعض الأوقات.

والقاعدة الذهبية - رضي أو أبى من شاء - هي إن القرآن الكريم.. كلام رب العالمين الذي تعهد بحفظه.. هو الحكم على الحديث والعكس غير صحيح أبدًا.

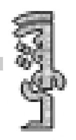
وحديث آخر رواه الترمذي ووهَّن إسناده وغربه.. جاء فيه:

«ستر ما بين أعين الجن وعورات أمتي إذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول: باسم الله».

ومن الممكن تفسير هذا الحديث باعتبار أن ذكر اسم الله تعالى يسبغ على المرء من الحفاظة الإلهية ما يقيه من التأثيرات الخفية على مناطق الضعف البشري عندما يذهب إلى الخلاء بعيدًا عن الناس. أما إذا كان المراد بأعين الجن ذلك الكائن الخرافي، فلماذا لا تستحي الجن وتغض من أبصارها، وماذا يهمنا لو رأت الجن عوراتنا، وما العيب في ذلك؟

وفي حديث مرسل، فيه "ابن لهيعة"، قال: «نهى رسول الله ﷺ عن نكاح الجن».

ولا شك أن النص غاية في التهافت، إذا فهمناه من منطلق تصور الجن الخرافي- فالرسول ﷺ لا ينهى عن شيء إلا ويوضح حكمة النهي، وما يجوز منه ﷺ أن ينهى عن أمر محال.. إذ كيف تتناكح الأجناس المختلفة في خلقتها وتكوينها. إن تناكح البشر يتطلب جسدًا عضويًّا ماديًّا، والجن الناري الخرافي غير ذلك! ولو زعم زاعم أن الجن قادرون على التشكل في صورة البشر ـ ولا سند لأحد يقول بذلك إلا كتاب (ألف ليلة وليلة) ـ فإن حياة البشر على الأرض تصبح خرافة فوضوية هزلية، فكيف تعرف أيّة زوجة أن من يبيت معها هو زوجها حقًّا.. وليس واحدًا من الجن في صورته؟ ربما كان الذين رَوَّجوا لهذه الأفكار هم بعض من أصابتهم الأمراض العصبية فخُيل إليهم أنهم تزوجوا أو أحبوا أو كانت لهم علاقات مع صورٍ جسّدها لهم خيالهم المريض. أما النبي ﷺ .. وأما



القرآن الكريم فلا مجال لمثل هذه الخزعبلات أن تتطرق إلى شيء مما جاءا بـــه.

وعلى أية حال فإنه يمكن فهم هذا الحديث – إن صح – على أنه نهي من النبي ﷺ عن نكاح السر أو زواج الخفاء، فكلمة (جن) تعني الخفاء، كقولهم: لا جن في الأمـــر أي لا خفـــاء فيه. فمـــن سُنته ﷺ إعلان النكـــاح والولـــيمة له.

* * *

ولا بأس أن نسوق بعض الاحـاديث التي خلطوا فيها بين الجن والشيطان:

+ «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعط بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله..» (مسلم /أحمد/داود).

+ «إن الشيطان يستحل الطعام ألا يذكر اسم الله عليه» (مسلم)

وهذه الروايات من توجيهات الرسول الكريم ﷺ لتأديب المسلم، فيعلمه ذكر الله تعالى وشكره عند الطعام، حتى لا تنسيه شهوة البطن (الشيطان) فضل المنعم عز وجل. وفي الاقتداء بالنبي ﷺ أخذ بالفطرة السليمة وعمل بواجب متابعته وهو المرسل من لدن العليم الخبير. وفي مخالفة سُنته خروج على منهج الله وبعد عن الصراط السوي.. ومن ابتعد عن هديه فهو شيطان.

+ «الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإن غضب أحدكم فليتوضأ» (البخاري).

وصدق رسول الله ﷺ، فالغضب انفعال ناري يُخرج المرءَ من اتزانه، ويوقعه في الخطأ والشطط.. ومن ثم فهو شيطان. وكل فعل شيطاني يوقع الإنسان في التهلكة ويذيقه نار الحسرة والندم. وكما يطفيء الماء النار، فإن ماء الوضوء.. يعيد للمرء اتزانه وهدوء نفسه إجلالا لمن شرع الوضوء، فيطفيء نار الغضب.

+ «يد الله مع الجماعة، والشيطان مع من يخالف الجماعة» (متفق عليه).

+ «إن الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم، يأخذ الشاةَ القاصية والناحية. فإياكم والشِّعابَ، وعليكم بالجماعة والمسجد» (رواه أحمد).

والحديثان الشريفان يوضحان معنى الشيطان.. ألا وهو كل ما يبعد الإنسان عن النهج المحمدي والصراط المستقيم مع جماعة المسلمين وخلف إمامهم.

عن السيدة حمنة بنت جحش أنها اشتكت إلى النبي ﷺ من استحاضة شديدة فقال: «إنما هي ركضة من ركضات الشيطان» (الشيخان).

وفي رواية أخرى «.. دمُ عرقٍ انفجر».

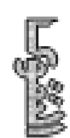
يتبين من هذا الحديث أنّ الشيطان ليس هو بالضرورة روح الشر التي يزعم البعض أنها تجر الإنسان إلى الفساد، ولكن.. في هذه الحالة هو عرق شذ عن سائر العروق فهو شيطان، وانفجاره ركضة شيطانية.

+ وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ خرج من عندها ليلا فغارت عليه. فلما عاد وسألها: «ما لك يا عائشة أغِرت؟ قالت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال ﷺ: أفأخذك شيطانك؟ فقالت: يارسول الله، أو معي شيطان؟ قال: نعم، ومع كل إنسان. قالت: ومعك يا رسول الله؟ قال :نعم، لكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم» (مسلم/داود).

+ وفي رواية أخرى: «..ومع كل إنسان قرينه من الجن وقرينه من الملائكة».

وفي رواية: «فليس يأمرني إلا بخير» (مسلم).

وهذا القول النبوي الكريم يشرح معنى الشيطان شرحا جميلا، ويُبين فضل الهداية الإلهية في التغلب على الشيطان، بل وتطويعه حتى يُسْلم فلا يأمر إلا بحق وخير. إن الغيرة النسائية من النزعات الفطرية التي جُبل عليها الإنسان رجالا ونساء، وهي نزعة بناءة تحفز المرء إلى المحافظة على كل غال لديه. ولكن إذا استسلم المرء لها حتى خرج



عن الجادة، فأساء الظن دون ما مبرر.. كانت الغيرة شيطانا يقود المرء إلى سوء التصرف. والرسول ﷺ يقول إن الاستسلام للميول والغرائز والنزعات دون سيطرة العقل عليها يحولها إلى شيطان مخرب، وإن كل امرئ عرضةٌ لهذا الشيطان، ولا يسلم منه وينجو من شروره إلا من استمسك بمنهج الله تعالى واستعان بهديه. والرسول ﷺ هو الأسوة الحسنة، ولقد اصطبغت ميوله وغرائزه وملكاته جميعا بصبغة الله تعالى، فما يمكن لها أن توجهه إلا إلى خير أو حق. نعم، لقد أسلمت كل طبائعه لله تعالى فلم تعد تتحرك أو تنشط أو تدفعه إلا نحو الهدي الإلهي. لقد كان خلقه القرآن، فلم يعد ما يُوَلّد تأثيرا شيطانيا عند غيره ينفعل إلا لتأثيرات الملائكة عنده.. إنه المثل الأعلى للإنسان الرباني.. صلوات الله وسلامه عليه.

أما قوله «..قرينه من الجن..» فيُحمل على أن التأثيرات الشيطانية التي تلازم كل إنسان إنما هي مستترة في باطنه. إن الغرائز من فطرة الإنسان التي تفعل فعلها فيه دون أن يتنبه لها عادة وتفعل فعلها من داخله.

+ وفي رواية: «إن الشيطان حَسّاسٌ لَحّاسٌ، فاحذَروه على أنفسكم. من بات وفي يده ريحُ غمرٍ فأصابه شيء فلا يلومَنَّ إلا نفسَه» (الترمذي الحاكم). وفي حديث آخر: «إذا كان جنح الليل وأمسَيتم فكُفُّوا صبيانَكم..فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فأَغلقوا الأبوابَ، واذكُروا اسمَ الله تعالى، وخَمِّروا آنيتَكم، واذكُروا اسمَ الله عز وجل، وأَطفِئوا مصابيحَكم..».

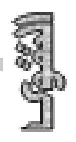
> باقة من الآداب المحمدية.. ترتقي بالانسان وتجعل منه كائنا نظيفا معافى سالما من الأخطار. إنها آخر ما عرفته الحضارة من قواعد الصحة العامة والخاصة والتربية والأمن... ولقد سمى النبي ﷺ كل تلك الحشرات والجراثيم شيطانا.

باقة من الآداب المحمدية.. ترتقي بالإنسان وتجعل منه كائنًا نظيفًا معافًى سالـمًا من الأخطار. إنها آخر ما عرفته الحضارةُ من قواعد الصحة العامة والخاصة والتربية والأمن. الرسول ﷺ يريد من المسلم أن ينام نظيفًا من أثر الطعام حتى يبيت ويصبح سالـمًا. إن الطعام في الفم واليد تفسد رائحةَ الفم وتضر بالأسنان واللثة، وتجذب الحشرات والهوام الضارة. ولقد سمى النبي ﷺ كل تلك الحشرات والجراثيم شيطانا.

ثم إن الليل مسرح الهوامِّ والوحوش والمجرمين.. إنه مسرح الشيطان. فكَفُّ الصبية وحجزُهم داخلَ البيوت يحميهم من كل تلك الشياطين. يحميهم من لدغات الحشرات، ويحميهم من عدوان الأشرار، ويحميهم مما تُسوّل لهم به أنفسهم تحت ستار الظلام. وغلقُ الأبواب يرد العيون المتلصصة، ويكف أذى من يهم بالأذى. وتغطية الآنية يحمي ما فيها من التلوث ووصول الهوام إليها. وذكرُ اسم الله تعالى دعاء لصفتي (الحفيظ والقيوم) فتكمل للمسلم كلُّ أسباب الوقاية بفضل الله تعالى بعد الأخذ بالأسباب وسد الذرائع.

– وفي حديث «إن للشيطان لَـمّةً بابن آدم وللمَلَك لمةً. فأما الشيطان فإيعادٌ بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة المَلَك فوعدٌ بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله تعالى، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان» (الترمذي).

إن التأثير الملائكي معروف بتوجيه المرء نحو الخير والسعادة والسلامة للفرد والمجتمع. أما التأثير الشيطاني فهو في اتجاه الفساد والضلال والشر والإيذاء. فمن وجد ميلا نحو الخير فليحمد الله على ذلك وليمض في طريقه، ومن وجد أن مراده فيه إضرار وإيذاء بالنفس أو بالغير فليلجأ إلى الله يسأله الحماية من توجيه الشيطان.. أي



النفس الأمّارة بالسوء.

+ وفي حديث «إن جاريةً نذرَتْ أن تضرب بالدف بين يدي النبي ﷺ فسمح لها. ودخل عليه بعض صحابته الكرام، ثم دخل عمر، فألقت الجاريةُ بالدفّ وانفلتت هاربةً. فقال ﷺ: إن الشيطان يخاف منك يا عمر» (رواه النسائي والترمذي).

وإذا كان الشيطان.. الذي يتصوره الناس.. يخاف من عمر فلا شك أنه من رسول الله ﷺ أخوَفَ ألفَ مرة. وأين ذلك الشيطان من موقع يكون فيه الرسول الكريم ﷺ؟

إن ما أراد النبي ﷺ بيانه في تلك المناسبة هو إن هيبة عمر ﷺ التي أخافت جاريةً تلهو لهوًا بريئًا بين يدي البيت النبوى الشريف.. لهيبة حَرِيَّة بأن يفزَعَ منها كلُّ مَن تُسَوّل له نفسُه تجاوُزَ حدود الله في حضرة عمر ﷺ. والتاريخ شاهدُ عدلٍ على صدق فراسة النبي ﷺ في شخصياتِ صحابته. ومن ذا الذي كان يجرؤ على فعل أو قول منكر أو باطل أمام عمر.. سواء أكان الشخص ملكا أو فردا من عامة الناس؟ أرأيتم كيف اقتص من ابن عمرو بن العاص أمام أبيه وقال: للرجل: اضربْ ابنَ الأكرمَين. أرأيتم الأمير الذي فر من المدينة قبل أن يُصفَع على وجهه قَصاصًا لأنه فعل ذلك بواحد من عامة المسلمين؟ ها هما فردان من الجن يرتجفان أمام عمر لأنهما أخطآ.. فما بالكم بسائر الرعية من الإنس! ثم ما بالكم بالشياطين!

+ ومثل ذلك ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سمح لها أن تشهد بعض الأحباش والصبيان وهم يضربون بالدف، فلما طلع عليهم عمر ﷺ انصرفوا، فقال النبي ﷺ: «إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر».

صدق رسول الله ﷺ. ولا يغيبن عن البال أن الرسول ﷺ لا يتساهل ولا يتهاون في باطل أبدًا، ولا يسمح بفعل شيطاني أن يقع أمامه ولا ينهى عنه.

وبعد.. فكتاب (عجائب الجان) مليء بالعجائب حقًا.. روايات بينة السخف والبطلان..وكلها بحمد الله واهية السند، ركيكة المعنى، ولا تحتمل وجهًا معقولاً للتأويل، ولذلك صرفنا النظر عن ذكرها لأننا لسنا بصدد تسلية القارئ بأساطير (ألف ليلة وليلة). وفيما ذكرناه آنفًا – بإذن الله تعالى– الكفاية.. وبالله التوفيق.

هذا، وإني لأرجو ممن لا يزال مُصِرًّا على أن الجن خلق آخر بالصورة الخرافية الشائعة في أذهان الناس.. فإننا لا نتحداه ولا نكذبه، بل نرجوه وندعوه باسم الإنسانية وباسم الإسلام أن يبذل مساعيه الحميدة لدى أصدقائه من الجن المسلمين الصالحين إن كان مسلما.. وباسم الوطنية والقومية إن كان غير مسلم.. أن يتوسط لنا عند إخوانه من الجن الماديين أو الملحدين.. للمشاركة في دفع ما تعانيه مجتمعاتنا الإسلامية والعربية بل والعالمية من فقر وضعف، فيدلّونا على موارد الثروة المخفية وأسرار العلوم والتكنولوجيا، وينبئونا بأخبار أعدائنا، وما يُدبر لنا من أذى، وما يحاك حولنا من مؤامرات.

والله من وراء القصد.. وهو يقول الحق.. وهو يهدي السبيل. وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام الهداة الميامين..مولانا محمد المصطفى، وخلفائه القائمين بأمانته، وآله أجمعين.. آمين.

* * *

بهذه العبارات المباركة نكون بفضل الله قد نشرنا هذا الكتاب القيم بكامله عبر عشرة حلقات. تتمنى أسرة «التقوى» أنه نال إعجاب قرائها الأفاضل.

ولا يفوتنا في هذه المناسبة التاريخية الهامة أن ندعو للعلامة الأستاذ المرحوم محمد حلمي محمد الشافعي أن يرزقه عز وجل فسيح جنانه ويتقبل منه جميع أعماله وتضحياته الجسيمة في خدمة الدين الحنيف. «**التحرير**»